

﴿ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ۖ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

[التَّمَلُّ: ٩١ - ٩٣]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ الْمَبْدَأَ وَالْمَعَادَ وَالنُّبُوَّةَ وَمُقَدِّمَاتِ الْقِيَامَةِ وَصِفَةَ أَهْلِ الْقِيَامَةِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَذَلِكَ كَمَا لَمْ يَتَعَلَّقْ بِيَانِ أَصُولِ الدِّينِ، نَاسَبَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ بِهَذِهِ الْخَاتِمَةِ اللَّطِيفَةِ^(١)؛ إِشْعَارًا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَدَّى وَاجِبَ الدَّعْوَةِ، وَمَا عَلَيْهِ بَعْدُ إِلَّا الْإِسْتِغْفَالُ بِشَأْنِهِ، وَالِاسْتِغْرَاقُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ^(٢)؛ لِيَحْمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَهْتَمُّوا بِأُمُورِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَتَوَهَّمُوا مِنْ شِدَّةِ اعْتِنَائِهِ ﷺ بِأَمْرِ دَعْوَتِهِمْ أَنَّهُ يُظْهِرُ لَهُمْ مَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ^(٣)، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَتَعْلِيمِ نَبِيِّهِ الْحَمْدَ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُظْهِرُ دِينَهُ؛ لِيُنَاسِبَ مَطْلَعُ السُّورَةِ الَّتِي ابْتَدَأَتْ بِذِكْرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ليس بعد
دعوة الناس
وإقامة الحجج
إلا الطاعة
والاستسلام لله
تعالى

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(١) ﴿حَرَّمَهَا﴾: (حرم) أصلٌ يدلُّ على المنع والتَّشْدِيدِ^(٤)، فَالْحَرَامُ: الْمَمْنُوعُ مِنْهُ^(٥)، وَقَدْ سُمِّيَتْ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ بِذَلِكَ؛ لَكُونِهَا مَمْنُوعًا فِيهَا الْقِتَالُ^(٦)، وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ؛ لَكُونِهِ مُنْعَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ،

(١) الفخر الزاوي، مفاتيح الغيب: 575 / 24.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل: 169 / 4.

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 306 / 6.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حرم).

(٥) الزاغب، المفردات: (حرم).

(٦) الخليل، العين: (حرم).

أَوْ لَأَنَّهُ حُرَّمٌ فِيهِ أَشْيَاءٌ وَهِيَ حَلَالٌ فِي غَيْرِهِ، كَالْأَصْطِيَادِ وَقَطْعِ
الْأَشْجَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ⁽¹⁾. وَمَعْنَى ﴿حَرَّمَهَا﴾ هُنَا: جَعَلَهَا حَرَمًا آمِنًا،
يَأْمَنُ فِيهَا اللَّاحِظُ إِلَيْهَا، وَلَا يُخْتَلَى خِلَالُهَا، وَلَا يُعْصَدُ شَوْكُهَا، وَلَا
يُنْفَرُ صَيْدُهَا⁽²⁾.

(2) ﴿سَيَرِيكُمْ﴾: (رَأَى) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بَعِيْنٍ أَوْ
بَصِيرَةٍ⁽³⁾، فَالرُّؤْيَى بِالْعَيْنِ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَبِمَعْنَى الْعِلْمِ
تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ زَيْدًا عَالِمًا⁽⁴⁾، وَالْإِرَاءَةُ: حَمْلُ الْغَيْرِ
عَلَى الرُّؤْيَى. وَمَعْنَى ﴿سَيَرِيكُمْ﴾: سَيَجْعَلُكُمْ تَرَوْنَ.

(3) ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: (عَرَفَ) مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا: السُّكُونُ
وَالطَّمَأْنِينَةُ⁽⁵⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَعْرِفَةُ وَالْعَرَفَانُ، أَيْ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ
بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ لِأَثَرِهِ⁽⁶⁾. وَمَعْنَى ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: تَعْرِفُونَ دَلَالَتَهَا عَلَى مَا
بَلَّغَكُمْ الرَّسُولُ مِنَ النَّذَارَةِ⁽⁷⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تُبَيِّنُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ مَا جَاءَ بِهِ الْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ
فِيمَا يَقُولُ لِلْمَشْرُكِينَ مِنْ أَنَّ عَمَلَهُ مَقْصُورٌ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّ مَكَّةَ الَّذِي
حَرَّمَهَا عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَسْفِكُوا فِيهَا دَمًا حَرَامًا، أَوْ يَظْلِمُوا فِيهَا أَحَدًا،
أَوْ يَعْبُدُوا فِيهَا غَيْرَهُ، وَأَنَّهُ أَمْرٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ جَمَلَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ
يُؤَاطَبَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَدَعْوَةِ النَّاسِ بِهِ، فَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْحَقِّ
وَالرَّشَادِ فَإِنَّ مَنْفَعَةَ ذَلِكَ رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّ وَبَالَ
إِعْرَاضِهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى حَمْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ سَيُرِيهِمْ سُبْحَانَهُ مِنْ

العبادة وقراءة
القرآن طريق
تعريف الناس
بآيات الله تعالى

(1) السَّمِينُ الْحَلِيبِيُّ، عَمْدَةُ الْحَقَّاطِ: (حَرَم).

(2) التَّسْفِي، مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ: 2/ 625.

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (رَأَى).

(4) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ: (رَأَى).

(5) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (عَرَفَ).

(6) الرَّاعِبُ، الْفُرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلِيبِيُّ، عَمْدَةُ الْحَقَّاطِ: (عَرَفَ).

(7) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 85/ 20.

آيَاتِهِ مَا يَعْرِفُونَ بِهِ صِدْقَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: وَمَا رَبُّكَ يَا مُحَمَّدٌ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَسَيَجْزِي كَلًّا مِنْكُمْ بِمَا عَمَلْتُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

❖ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

علّة فصل الآية عما قبلها:

فُصِّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَا فِ بَتَقْدِيرِ قَوْلٍ مَحْذُوفٍ، جِيءَ بِهِ بَعْدَ بَيَانِ أَحْوَالِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ، وَشَرَحَ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ؛ إِثَارَةً لَهُمُ مَعَهُمْ إِلَى حَصِيلِ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَالتَّوَجُّهُ نَحْوَ التَّدْبِيرِ فِيمَا قَرَعَ أَسْمَاعَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ الْكَافِيَةِ فِي إِرْشَادِهِمْ⁽¹⁾.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْاسْتِثْنَا فِ فَذَلِكَ الْحِسَابِ، وَخَتَامًا لِلسُّورَةِ، أَفْسَدَ بِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَرْحَهُمْ بِمَا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ أَفْحَمُوا الرَّسُولَ ﷺ بِمَا الْقُوَّةُ عَلَيْهِ مِنَ الشُّبْهِ، وَبَزَادَ الرَّسُولَ تَثْبِيثًا بِأَنَّهُ أَدَّى أَمَانَةَ التَّبْلِيغِ⁽²⁾، وَالْاسْتِثْنَا فِ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ نَحْوِيٍّ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْاسْتِثْنَا فِ بَيَانِيًّا جَاءَ جَوَابًا عَنْ سَوْأَلٍ مُقَدَّرٍ يَقْتَضِيهِ الْكَلَامُ السَّابِقُ، بَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَمَّا أَتَمَّ الدِّينَ بِذِكْرِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ: الْمَبْدَأِ، وَالْمَعَادِ، وَالنُّبُوَّةِ، وَكَانَ ذِكْرُهُ لَهَا عَلَى وَجْهِ مُرْغِبَةٍ وَمُرْهَبَةٍ، أَوْجَبَ هَذَا التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهيبُ لِكُلِّ سَامِعٍ أَنْ يَقُولَ: فَمَا الَّذِي نَعْمَلُ؟ وَمَنْ نَعْبُدُ؟ فَأُجِيبَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ﴾ الْآيَةُ⁽³⁾، وَبَنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْفَصْلُ لَمَّا بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ مِنْ شَبْهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ الْمَوْجِبِ لِلْفَصْلِ.

نُكْتَةُ حَذْفِ لَفْظِ الْقَوْلِ:

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ

احتمال
الاستئناف
للنحوي والبياني

سرعة الامتنال
برهان النبوة
وركن اللديح

(1) الألوسي، روح المعاني: 10 / 284.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20 / 54.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 14 / 227.

قولٍ محذوفٍ قبله، أي: (قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: إِنَّمَا أُمِرْتُ... إلخ⁽¹⁾)، وقد دلَّ على هذا الحذف قوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ مُفْرَعٌ عَلَيْهِ مُتَّصِلٌ بِهِ، والثَّانِي معطوفٌ على أَوَّلِ الكلام⁽²⁾. وفي هذا الحذف إيماءٌ لطيفٌ إلى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد سارعَ إلى الامتثالِ، فهو يُخَبِّرُ بما أُمِرَ بِهِ، وكأنَّ لم يكنْ أمرٌ قبلَ هذا الإخبارِ، كما أَنَّ في العدولِ عن ذِكْرِ القولِ إلى نُطْقِ الْمُتَكَلِّمِ بما قاله المحكيُّ عنه ضرباً من استحضارِ الحالةِ، حتَّى كأنَّ الْمُتَكَلِّمَ هو صاحبُ القولِ⁽³⁾.

بلاغة القصر بأداة «إِنَّمَا»:

جاء افتتاح الكلام بأداة «إِنَّمَا» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ الدَّالَّةُ على الحصر⁽⁴⁾؛ لإفادة حصرٍ إضافيٍّ باعتبار ما تَضَمَّنَتْهُ محاوراتهم السابقة مِنْ طلبِ تعجيلِ الوعيدِ، وَمِنْ إنكارِ الحشرِ، والمعنى: ما أُمِرْتُ بشيءٍ مِمَّا تَبْتَغُونَ مِنْ تعيينِ أَجَلِ الوعيدِ، ولا مِنْ اقتلاعِ إِحَالَةِ البعثِ مِنْ نفوسِكُمْ، ولا بما سوى ذلك إِلَّا بِأَنَّ أَثْبَتَ على عبادةِ رَبِّ واحدٍ، وَأَنَّ أَكُونَ مُسْلِمًا، وَأَنَّ أَتْلُو القرآنَ عليكم⁽⁵⁾، وفي ذلك بَسْطٌ لِعُذْرِهِ ﷺ، ودفعٌ للمَلَامِ عن نفسه، والعُهْدَةِ بعدَ ذلكَ عليهم، وكلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهينَةً، وفيه أيضًا مبالغةٌ في أَهْمِيَّةِ الأوامِرِ المذكورةِ، وكأنَّه ﷺ لم يُؤَمَّرَ إِلَّا بها، وقد جاء القصر بأداة «إِنَّمَا» وهي التي تكون لما يعلمه المخاطب؛ لأنَّ المخاطَبِينَ يعلمون مضمونَ القَصْرِ، وَأَنَّ العبادةَ ليست لأحدٍ إِلَّا لِلَّهِ تعالى، وعليه فالقصر أفاد التَّوكِيدَ لمضمونِ الكلامِ.

توكيد ما استقرَّ
في الأذهان طريق
تثبيت للعاني في
القلوب

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 274.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20 / 55.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1 / 719.

(4) الطَّبَّي، فتوح الغيب: 11 / 598.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20 / 55.

بلادة استعمال مفردة الأمر:

أَثَرَ النَّظْمِ الْكَرِيمِ اسْتِعْمَالَ مَفْرَدَةِ (الْأَمْرِ) فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾، وَلَمْ يُقَلَّ: (إِنَّمَا أَعْبُدُ)؛ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الْعِبَادَةِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَأْمُورَاتِ إِنَّمَا هُوَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَتْ مِنْ عِنْدِهِ ﷺ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَفِي ذَلِكَ تَعْظِيمٌ لِهَذِهِ الْمَأْمُورَاتِ بَبَيَانِ أَنَّهَا إِلَهِيَّةُ الْمَصْدَرِ، مَعَ الْحَثِّ عَلَى الْإِمْتِثَالِ، بَبَيَانِ أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ الْمَأْمُورِينَ، وَهُوَ قُدُوتُهُمْ فِي الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَوَامِرَ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِهِ⁽¹⁾.

ليس للنبي من
الأمر شيء ولا
من الوحي إلا
الامتثال

نُكْتَةُ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ:

بُنِيَ فِعْلُ ﴿أُمِرْتُ﴾ لِلْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ لِلْعِلْمِ بِهِ، إِذْ سَيَاقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي أَمَرَهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى⁽²⁾، وَفِي ذَلِكَ تَفْخِيمٌ لِّشَأْنِ الْأَمْرِ وَالْأَمْرِ؛ إِذِ الْأَمْرُ مُتَعَيْنٌ، فَلَا يُتَصَوَّرُ سِوَاهُ، وَلَا يَنْصَرَفُ الذَّهْنُ إِلَى غَيْرِهِ، وَفِيهِ أَيْضًا حَثٌّ عَلَى الْإِمْتِثَالِ وَالِاسْتِجَابَةِ، فَهُوَ أَمْرٌ مَنْ لَا يُرَدُّ لَهُ أَمْرٌ⁽³⁾.

الأمر لله وحده
والعبد مطيع
لله وحده

غرض التعبير بالماضي:

جِيءَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مُتَحَقِّقَانِ مُتَبَيِّنَانِ، لَا شَكَّ فِيهِمَا وَلَا ارْتِيَابَ، وَقَدْ جَرَى بِهِمَا قَلَمُ الْإِرَادَةِ مِنْذُ الْأَزَلِ، فَعِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَالْإِسْلَامُ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْتَنْ بِسُنَّتِهِمْ، وَيَقْتَدِي بِهَدْيِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ إِظْهَارٌ لَجَلَادَتِهِ ﷺ وَتَصَلُّبِهِ فِي الْحَقِّ.

التَّوْحِيدُ حَقٌّ
اللَّهُ عَلَى الْعَبِيدِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 460 / 14.

(2) أبو حنبل، البحر المحيط: 276 / 8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 241 / 11.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 227 / 14، والشَّريني، السَّراج المنير: 78 / 3.

نُكْتَةُ حَذْفِ الْجَارِّ فِي الْمَأْمُورِ بِهِ:

تعظيمُ المأمُورِ
بِهِ مِنْ عِبَادَةِ
اللَّهِ تَعَالَى

حُذِفَ حَرْفُ الْبَاءِ الَّذِي هُوَ لَتَعْدِيَّةٌ فَعَلَ ﴿أُمِرْتُ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ فَلَمْ يَقُلْ: (بَأَنْ أَعْبُدَ)؛ لَتَعْظِيمِ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِجَعْلِهِ عُمْدَةً فِي الْكَلَامِ⁽¹⁾، وَإِقَاعِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ.

بَلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِالمصدرِ المؤَوَّلِ دُونَ الصَّرِيحِ:

الْعِبَادَةُ الْمَعْتَبَرَةُ
هِيَ الدَّائِمَةُ
لِلتَّصَلَةِ

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِصِيغَةِ المضارعِ المُصَدَّرِ بـ ﴿أَنْ﴾ المصدريَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾، فَ﴿أَنْ﴾ مُصَدَّرِيَّةٌ؛ لِأَنَّ نَصْبَ الْفِعْلِ المضارعِ بَعْدَهَا يُعَيِّنُ أَنَّهَا مُصَدَّرِيَّةٌ، وَيَمْنَعُ احْتِمَالَ أَنَّهَا تَفْسِيرِيَّةٌ⁽²⁾، دُونَ المَصْدَرِ الصَّرِيحِ، فَلَمْ يَقُلْ: (بِعِبَادَةِ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ)؛ لِيَتَوَصَّلَ بِالمضارعِ إِلَى إِفَادَةِ أَنَّ الْمَطْلُوبَ هُوَ اسْتِمْرَارُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَجَدُّدُهَا، وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ أَنَّ يَبْقَى الْعَبْدُ عَلَى هَذِهِ الْعِبَادَةِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ، وَفِي ذَلِكَ قَطْعٌ لِأَطْمَاعِ الْمُشْرِكِينَ بِرُجُوعِ النَّبِيِّ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ عَنْ إِفْرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ، وَبَيَانُ أَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ هُوَ اسْتِمْرَارُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، دُونَ انْقِطَاعٍ أَوْ انْفِصَالٍ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْأُلُوهِيَّةِ:

الامتنانُ بالحفظِ
والعنايةُ من آثارِ
الرُّبُوبِيَّةِ

آثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ اسْتِعْمَالَ عِنَاوَانِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ دُونَ الْأُلُوهِيَّةِ، فَلَمْ يَقُلْ: (أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ)؛ لِأَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ تَكْلِيفٌ، أَمَّا الرُّبُوبِيَّةُ فَعَطَاءٌ وَتَرْبِيَّةٌ، فَالْآيَةُ تُبَيِّنُ حَيْثِيَّةَ سَمَاعِ الْعِبَادِ لِلْحُكْمِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ أَنَّ تَعَالَى يُرَبِّيهِمْ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، وَسَوْفَ تَعُودُ عَلَيْهِمْ ثَمَرَةٌ هَذِهِ التَّرْبِيَّةِ⁽³⁾، وَالرُّبُوبِيَّةُ الْمُنْبِئَةُ عَنِ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ بِحَسَبِ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّ أَنْسَبُ بِتَحْرِيمِ الْبَلَدَةِ، الَّذِي هُوَ نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ عَلَى قَرِيشٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ مَكَّةَ أَمْنَةً وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا، وَهَذَا مِنْ آثَارِ رَبُوبِيَّةِ تَعَالَى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 228 / 14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 302 / 11.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 10862 / 17.

في حفظ البلاد والعباد، وامتنان على أهلها، ووعد بأن يكون لما حولها ما كان لها إن هم أطاعوه، واتبعوا أمرَ نبيِّهم ﷺ.

توجيه تخصيص البلدة بالذكر:

خصَّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ البلدة بالذكر دون سائر البلدان، وهو ربُّ البلاد كلها؛ لما فيه من التعريض بضلال مشركي مكة؛ إذ عبدوا أصناماً لا تملك من البلدة شيئاً، ولا أكسبتها فضلاً ومزيةً، ولم يجر لها عليهم نعمةً، ولا تقدِّر لهم على نفع ولا ضرر⁽¹⁾، فأراد أن يعلمهم بأنهم لا يملكون تلك البلدة، فكاشفهم بما تُكنه صدورهم من خواطر إخراج الرسول ﷺ والمؤمنين من مكة، وذلك من جملة ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: 74]⁽²⁾، ولأن مكة هي أحبُّ بلادٍ إليه، وأكرمها عليه⁽³⁾، مع إرادة تشريفها وتعظيم شأنها⁽⁴⁾، وإظهار الاعتناء بها⁽⁵⁾.

مكة أحبُّ
البقاع وأشرفها
وأعظمها

غرض الإشارة بأداة القريب:

أشير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ إلى البلدة المحرمة باسم الإشارة للقريب؛ لأنها حاضرة في أذهان المخاطبين قريبة منهم⁽⁶⁾، والإشارة إلى البقاع بهذا الاعتبار شائعة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: 31]⁽⁷⁾، وفي هذه الإشارة تعظيم لمكة وتشريف لها وتقريب، وفيها دلالة على أنها موطن نبيِّه، ومهبط وحيه⁽⁸⁾، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي

مكة قريبة من
القلوب، حاضرة
في العقول،
ومهبط الأفتدة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 511 / 19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 56 / 20.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 576 / 24، والتسفي، مدارك التنزيل: 625 / 2.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 169 / 4.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 218 / 6.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 228 / 14.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 56 / 20.

(8) الزمخشري، الكشاف: 389 / 3، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 576 / 24.

فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ [القصص: 85]؛ تسليّة لقلبه، أي: إنَّ الذي أوجب عليك العمل بأحكام القرآن لראدك إلى مكة⁽¹⁾، وما في هذه الإشارة من التعظيم هو سرُّ العدول عن ذكر مكة باسمها العلم⁽²⁾، فإنَّ الإشارة إلى المعروف إنما يكون بما يكتنزه من الشرف والمكانة، وذلك بحسب السياق الدال عليه، كما أنَّ الإشارة بالقرب لإشعار المخاطبين بما يُحيط بهم من المنن النازلة عليهم بسبب مكانة مكة عند الله تعالى.

معنى تعريف لفظ «الْبَلَدَة»:

تعريف «الْبَلَدَة» في قوله تعالى: **«إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ»** للعهد الخارجي؛ لأنها اسمٌ علمٌ لطائفةٍ من الأرض مُعَيَّنَةٌ معروفةٌ للمُخاطَبِينَ، وهي مكة⁽³⁾ وما حولها إلى نهايةِ حدودِ الحرم⁽⁴⁾، فصارت لذلك بحيث إذا أُطْلِقَتِ البلدةُ انصرفت إليها، وعُرفَ أنها مكة⁽⁵⁾، كالنجم الذي أصبحَ علماً بالغلبة للثريا، وفي ذلك تفخيمٌ لمكة شرفها الله⁽⁶⁾، مع ما في هذا السياق من القرائن اللفظية، من مثل اسم الإشارة، وإضافة لفظ الرُّبُوبِيَّة إلى اسم الإشارة، ووصفها بالاسم الموصول، فكلُّها دالَّةٌ على مكة المكرمة.

بلادة التفصيل بعد الإجمال بالإبدال:

جاء لفظ «الْبَلَدَة» بدلاً من اسم الإشارة **«هَذِهِ»**؛ زيادةً في تعيين اسم الإشارة وتشخيصاً له⁽⁷⁾، وذلك أنَّ أصلَ أسماء الإشارة أن يُستغنى بها عن زيادة تبين المُشار إليه تبييناً لفظياً؛ لأنَّ الإشارة

تكتسب الألفاظ
تعريفها
العهدى
بالقرائن
السياقية

زيادة أوصاف
البيان دليل
العناية وبرهان
الرعاية

(1) الطَّبِيعِي، فتوح الغيب: 11/ 599، وابن التَّمْجِيد، حاشيته على تفسير البياضوي: 14/ 461.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 56.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 274، وأبو حَتَّان، البحر المحيط: 8/ 276.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 56.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 228.

(6) الزَّيْدِي، تاج العروس: (بلد).

(7) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 228.

بيان، وقد يزيدون الإشارة بياناً، فيذكرون بعد اسم الإشارة اسماً يبيّنه؛ للدلالة على أنّ المُشار إليه قُصِدَ استحضاره من بعض أوصافه⁽¹⁾، وهنا قُصِدَ استحضارُ البلدة من حيث كونها مكاناً يتعمّون فيه بالأمن والخيرات، وذلك أبلغ في الحجة والإلزام، وذكر البدل بعد اسم الإشارة يُنزّل منزلة التفصيل بعد الإجمال، لإفادة الاهتمام بالبدل، وزيادة تعظيمه وتشريفه، وتقريره في النفوس؛ لأنّ النفوس تتشوّف عند ذكر المبدل منه - وهو اسم الإشارة هنا - لمعرفة البدل، فإذا جاء ذكره تمكّن في النفوس غاية التمكن، خصوصاً أنّ البلدة هنا قد وردت بالاسم الذي صار علماً عليها، بحيث يميّزها عن غيرها.

نكتة التعبير بالبلدة دون البلد:

البلد والبلدة كلاهما علم بالغلبة على مكة المكرمة شرفها الله تعالى، أما البلد فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۚ﴾ [البعد: 1]، وأما البلدة فمأخوذة من قوله سبحانه هنا: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾⁽²⁾، وقد اختير لفظ البلدة المؤنث دون لفظ البلد المذكر؛ لموافقتِهِ أسماء المواضع التي وردت في هذه السورة، فهي مؤنثة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [التمل: 34]، وقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [التمل: 48]، وقوله: ﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [التمل: 56]، وذلك نوع من أنواع التلاؤم اللفظي الذي يتجلّى في سور القرآن الكريم، ولما فيه من المقابلة الإيمائية بين البلدة وما سواها من البلدان.

فائدة النعت بالموصل:

أثر النظم الكريم استعمال الاسم الموصول ﴿الَّذِي حَرَمَهَا﴾؛ لأنّ

بلادة التلاؤم
اللفظي في سور
القرآن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 714 / 1.

(2) الزبيدي، تاج العروس: (بلد).

الإنعام يوجب
الامتثال ويدفع
الاختيال

فِي الصَّلَةِ تَشْرِيفًا لَهَا بَعْدَ تَشْرِيفٍ، وَتَعْظِيمًا إِنْ تَرَّ تَعْظِيمٌ، وَإِشْعَارًا
بِعِلَّةِ الْأَمْرِ وَمَوْجِبِ الْأَمْتَالِ لَهُ، وَهُوَ نِعْمَتُهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ وَتَرْبِيَّتُهُ
لَهُمْ؛ فَإِنَّ فِي تَحْرِيمِهَا مِنْ حَيْثُ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَعْظَمَ
الْمَنْ، فَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى غَايَةِ الشَّنَاعَةِ فِي اقْتِرَافِ مَا اقْتَرَفَهُ الْمُشْرِكُونَ،
مَنْ تَعَاطَى أَشْنَعَ أَفْرَادِ الْإِلْحَادِ، حَيْثُ تَرَكُوا عِبَادَةَ رَبِّهَا، وَنَصَبُوا
فِيهَا الْأَوْثَانَ، وَعَكَّفُوا عَلَى عِبَادَتِهَا⁽¹⁾.

عَلَّةُ وَصْفِ الْفَاعِلِ ﴿رَبِّ﴾ دُونَ الْمَفْعُولِ ﴿الْبَلَدَةِ﴾:

أَخْطُ الْمَعْنَى
السِّيَاقِيَّ أَصْلًا
فِي نَظْمِ الْمَبَانِي

جاء الاسمُ الموصولُ المتضمنُ بصلته تحريمَ مَكَّةَ المكرمةَ وصفًا
للفظِ الرَّبُّوبِيَّةِ لَا لِلْبَلَدَةِ، فَلَمْ يَقُلْ: (الْبَلَدَةُ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ)، وَإِنَّمَا
قَالَ: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾؛ لِأَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ فِي بَيَانِ عِبَادَتِهِ ﷻ لِرَبِّ الْبَلَدَةِ
الْمَحْرَّمَةِ، فَكَانَ ذِكْرُ الْمُحَرَّمِ سُبْحَانَهُ لَا الْمَكَانَ الْمُحَرَّمِ هُوَ الْأُولَى،
وَلِيُؤْذِنَ بِتَعْظِيمِهَا لَهَا؛ لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا: (رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَ مَكَّةَ)
أَعْلَمْنَا أَنَّ مَكَّةَ مِنْ جَلَالَةِ قَدْرِهَا وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهَا بِحَيْثُ يَصِحُّ أَنْ يَوْصَفَ
بِتَحْرِيمِهَا اللَّهُ ﷻ، وَأَنَّ الْوَصْفَ بِهِ كَالْوَصْفِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَإِذَا
قُلْنَا: (رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ) لَمْ يُفِيدِ الْكَلَامُ ذَلِكَ، فَلَمْ
يَحْسُنْ ذَلِكَ الْحُسْنُ⁽²⁾.

تَوْجِيهٌ تَخْصِيصٌ لَفْظِ التَّحْرِيمِ بِالذِّكْرِ:

ذَكَرُ الْأَصُولِ
الْعَلِيَّةِ مِنْبَهُ عَلَى
الْأَثَارِ الْفَرَعِيَّةِ

خَصَّ النَّظْمُ الْكَرِيمَ لَفْظَ التَّحْرِيمِ بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَمْنِ، فَقَالَ:
﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (أَمَّنَهَا)؛ لِأَنَّ التَّحْرِيمَ هُوَ سَبَبُ الْأَمْنِ،
فَفِي التَّعْبِيرِ بِهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْأَمْنَ الَّذِي تَنْعَمُ بِهِ قَرِيشٌ هُوَ بِسَبَبِ
تَحْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْبَلَدَةِ، وَتَوْعُّدِ الْمُعْتَدِيِّ بِالْعُقُوبَةِ، وَذَلِكَ
أَعْظَمُ فِي الْمِنَّةِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ؛ لِأَنَّ تَحْرِيمَهَا يَدْخُلُ فِيهِ مَنْعُ غَزْوِ
أَهْلِهَا وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ وَظُلْمِهِمْ وَإِخَافَتِهِمْ⁽³⁾، وَلِذَلِكَ لَمَّا وُصِفَتْ

(1) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 6/ 306، وَالْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْبَاقِي: 10/ 248.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 3/ 389، وَالطَّبَّيْ، فَتَوْحُ الْغَيْبِ: 11/ 600.

(3) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 20/ 56.

مَكَّةَ بِالْأَمْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: 57] كَانَ الْوَصْفُ لِلْحَرَمِ؛ لِبَيَانِ أَنَّ التَّحْرِيمَ هُوَ الْأَصْلُ، وَهُوَ الْجَالِبُ لِلْأَمْنِ، فَالْأَمْنُ ثَمَرَةُ التَّحْرِيمِ، كَمَا أَنَّ الصَّفَةَ فَرْعُ الْمَوْصُوفِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۚ﴾ [قريش: 3 - 4].

نُكْتَةُ الْمَجَازِ بِالْحَذْفِ وَفَائِدَتُهُ:

مَعْنَى التَّحْرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ تَحْرِيمُ التَّعَرُّضِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَشِيشِ سِوَى الْإِذْخِرِ، وَتَحْرِيمُ الصَّيْدِ وَالْقَتْلِ فِيهَا، فَيَكُونُ إِيقَاعُ التَّحْرِيمِ عَلَيْهَا مَجَازًا⁽¹⁾ بِالْحَذْفِ، عَلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفَاتٍ، وَنُكْتَةُ هَذَا الْمَجَازِ الْإِيحَازُ؛ إِذْ يُغْنِي عَنْ سَرْدِ الْمُحَرَّمَاتِ وَتَعْدَادِهَا، وَالْمُبَالَغَةُ فِي اتِّصَافِ مَكَّةَ بِالتَّحْرِيمِ، حَتَّى كَأَنَّ التَّحْرِيمَ شَامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ فِيهَا، وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا، وَكَأَنَّهَا تَجَسَّدَتْ فِي صُورَةِ شَيْءٍ مُحَرَّمٍ، يُمْنَعُ التَّعَرُّضُ لَهُ بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ الْوَجُوهِ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَاضِي:

جَاءَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾؛ لِتَأْكِيدِ التَّحْرِيمِ، وَبَيَانِ أَنَّهُ أَمْرٌ مُتَيَقَّنٌ، مُتَحَقِّقٌ عِنْدَهُمْ، لَا يَشْكُونُ فِيهِ؛ فَهُمْ يَنْعَمُونَ بِنِعْمَةِ الْأَمْنِ كَمَا نَعَمَ بِهَا آبَاؤُهُمْ مِنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ، فَتَحْرِيمُ مَكَّةَ مِنْذُ زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، كَمَا قَالَ ﷻ دَاعِيًا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37]، وَذَلِكَ أَقْطَعُ لِعُذْرِهِمْ، وَأَبْلَغُ فِي ذَمِّهِمْ وَتَوْبِيخِهِمْ عَلَى شُرْكِهِمْ.

نَوْعُ الْوَاوِ وَدَلَالَتُهَا:

الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ لِعَطْفِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿حَرَّمَهَا﴾، وَهُوَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ⁽²⁾، الْمُفِيدِ

تَقْلِيلِ الْفَافِ مِنْ شَأْنِهِ تَفْخِيمٍ مَعَانٍ

تَحْرِيمُ مَكَّةَ قَدِيمٌ، وَالْإِعْتِدَاءُ عَلَيْهَا ذَمِيمٌ

الْوَاوُ لِعَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ أَوْ الْحَالِ

(1) الْفَوْنِيُّ، حَاشِيَتُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: 461/14.

(2) ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 218/6.

تعظيم الخاص، وذلك أنه تعالى لما أخبر أنه مالك هذه البلدة أخبر أنه يملك كل شيء، فجميع الأشياء داخله في ربوبيته، فشرّفت البلدة بذكر اندراجها تحت ربوبيته على جهة الخصوص، وعلى جهة العموم⁽¹⁾. ويحتمل أن تكون الواو للحال⁽²⁾، أي: الذي حرّمها حال كونه له كل شيء، فيفيد التقييد بهذه الحال أن له تعالى أن يحرم ما يشاء من البلدان والأشياء، فلا مالك سواه، ولا مُتصرف على الحقيقة غيره.

بلاغة الجملة بين الاحتراس والتّميم:

يحتمل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أن يكون احتراساً⁽³⁾؛ لأنّ لا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها، فهو تعالى ليس كالمُلك الذين ليس لهم إلا ما حمّوه على غيرهم⁽⁴⁾. ويحتمل أن يكون تميمًا⁽⁵⁾، جعل تعالى دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول البلدة تحتها⁽⁶⁾، حيث أضاف الرب إلى البلدة إضافة تملك، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ على وجه التّميم، ليؤذن بالفرق بين الملكين، وأن أحدهما كالتابع، والآخر كالمُتبع⁽⁷⁾، وفي ذلك إشارة إلى أن ملكاً ملك مثل هذه البلدة وملك كل شيء عظيم الشأن⁽⁸⁾، يرفع من مرتبة ما أراد رفّعه ويحط من منزلة ما أراد حطه، يعز من يشاء، ويذل من يشاء⁽⁹⁾، وفي التّميم

مكة أصل
لوجودات
في التوحيد
والعبادة

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 276.

(2) درويش، إعراب القرآن: 7 / 267.

(3) ويسمى التكميل أيضاً، وهو: "أن يؤتى في كلام يومه خلاف المقصود بما يدفعه". ينظر: القزويني، تلخيص الفتاح مع مختصر التفتازاني، ص: 469.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 14 / 229، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20 / 57.

(5) وقد عرّفه القزويني في تلخيص الفتاح مع مختصر التفتازاني، ص: 471: "أن يؤتى في كلام لا يومه خلاف المقصود بفضله لئلا".

(6) الرّمخسري، الكشف: 3 / 389.

(7) الطيّبي، فتوح الغيب: 11 / 601، وظاهر أن تعريف القزويني للتّميم لا ينطبق على ما ذكره الطيّبي هنا، لأن ما في هذه الآية جملة لا فضلة.

(8) الرّمخسري، الكشف: 3 / 389.

(9) الطيّبي، فتوح الغيب: 11 / 601.

مزيد مدح وثناءٍ لمكة، إذ جعلها الأصل لكل ما يُملك، وعطفَ عليها كل ما يُملك، كما أنَّ الوجودَ إنما كان للعبادة، ومكة هي مركز الأرض توحيداً وعبادة.

نوع اللام ودلالاتها في ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾:

لام الجر في قول الله جلَّ ذكره: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ للملك والاستحقاق، وهي تفيد أنَّ كلَّ شيءٍ لله سبحانه ملكاً واستحقاقاً، وفي التعبير بها ملاءمة لمقام الحث على عبادة الله تعالى؛ لأنَّ الإله الذي يستحقُّ العبادة دون سواه هو المتَّصفُ بكون كلِّ شيءٍ تحت ربوبيته وملكه وسلطانه، ويحتملُ أن تكون اللام للاختصاص، فتفيد أنَّ كلَّ شيءٍ مختصُّ بالله تعالى، لا يتجاوزهُ إلى غيره.

غرض تقديم السند على المسند إليه:

قدَّم الجارَّ والمجرور (لَهُ) على ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ للتَّخصيص، أي: لَهُ وحده سبحانه كلُّ شيءٍ⁽¹⁾، ولا شيءٍ لسواه، وهذا التَّخصيص من مقتضيات مقام الأمر بعبادة الله تعالى، ونَبذِ الشُّركِ والأوثان؛ لأنَّ الأصنام التي يعبدُها المشركون من دون الله لا تضرُّهم ولا تنفعهم، ولا تملكُ مثقالَ ذرَّةٍ في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، فإِذَا خَسَارَةٌ مَمْلُوكٍ يعبُدُ مملوكاً مثله، ويتركُ عبادةَ مالكِ الدُّنيا والآخرة!

فائدة إضافة لفظ العموم إلى لفظ مُبْهَم:

آثر النظم الكريم اختيارَ كلمة ﴿شَيْءٍ﴾ في قوله تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾؛ لإفادة شمولِ ملكه تعالى لكلِّ الموجودات⁽²⁾، ومنها مكة التي حرَّمها؛ لأنَّ هذه الكلمة من أسماء الأجناسِ العاليةِ العامَّةِ، وهي مُتَوَغِّلَةٌ في العموم، وبإضافة ﴿كُلِّ﴾ إليها زيادةٌ في العموم، وفي هذا التَّعميمِ زيادةٌ تنبيهٍ على استحقاقه تعالى الإفرادَ

كُلُّ شَيْءٍ مِلْكٌ
لِلَّهِ تَعَالَى

مَالِكُ الْخُلُوقَاتِ
هُوَ الْمُسْتَحَقُّ
لِلْعِبَادَةِ دُونَ
سِوَاهُ

كُلُّ الْمَوْجُودَاتِ
مُنَادِيَةٌ بِوُجُوبِ
عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدِّهِ

(1) أَطْفِيش، تفسير أَطْفِيش: 7/ 348.

(2) ابن عطية، الحَزْرُ الوجيز: 4/ 274.

بالعبادة، وزيادة تقبيح وتشنيع لحال مَنْ يَحِيدُ عن عبادته سبحانه؛ وذلك لأنَّ إثبات عموم ملكه سبحانه لكلِّ موجودٍ، ممَّا يزيد العقل قناعةً باستحقاقه تعالى العبادة دون سواه، فمن لم يمتثل استحقَّ الوبال والثُّبور.

معنى العطف وفائدته:

تعيين المعبود
وتعيين طريقة
الوصول إليه

الواوُ في قول الحقِّ ﷻ: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لعطف هذه الجملة على جملة ﴿أْمُرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾، فتفيد انتظامها معها في سلكِ المأمورات، وفائدته: أَنَّ المشركين ربِّما قالوا: ونحن نعبدُ بعبادة الأصنام التي نرجو أن تُقرَّبنا إليه زُلْفَى، فعين الدين الذي تكون به العبادة، وهو دين الإسلام⁽¹⁾، فاجتمع في العطف تعيين المعبود، وتعيين طريقة عبادته ومسلك الوصول إليه.

سِرُّ تكرار فعل ﴿وَأْمُرْتُ﴾:

وحدة العبادة
ووحدة الرسالة
محَلُّ عناية
وموضع رعاية

جاء تكرار فعل ﴿وَأْمُرْتُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ بعد ذكره في قوله: ﴿إِنَّمَا أْمُرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾؛ لبيان الفرق بين الأمرين؛ فَإِنَّ الأوَّلَ يختصُّ بتوحيد الله تعالى بالعبادة، والآخر يقتضي وحدة الرسالة للإسلام والمسلمين، ولهذه النكتة لم يُكرِّر (أْمُرْتُ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾؛ لأنَّ كلاً من الإسلام والتلاوة من شؤون الرسالة⁽²⁾؛ ففيه إظهارُ العناية والاهتمام بكلِّ واحدٍ من الأمرين؛ لأنَّه يُشيرُ إلى أنَّ كلَّ جملةٍ من الجملتين المتعلقتين بعبادته تعالى مقصودةٌ لذاتها، وليست تابعةً للأخرى.

دلالة التَّعْبِيرِ بِفَعْلِ الْكَوْنِ مُضَارِعًا:

العبادة الدَّائمة
لا تثبت إلا
بالنَّهْجِ السَّوِيِّ

جاء التَّعْبِيرُ بِفَعْلِ الْكَوْنِ الدَّالِّ على تَمَكُّنِ خَبَرِ هذا الفعلِ مِنْ اسْمِهِ، وعُبِّرَ عنه بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/229.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 57/20.

مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ للدلالة على الاستمرار، أي: أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَوْنًا هُوَ فِي غَايَةِ الرُّسُوخِ⁽¹⁾، وفي ذَلِكَ حُتٌّ لِلْمُسْلِمِ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ؛ امْتِثَالًا لِهَذَا الْأَمْرِ، واقتداءً بِالنَّبِيِّ ﷺ، ولبیان أَنَّ الْعِبَادَةَ الدَّائِمَةَ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِالْكَوْنِ الْمُسْتَمِرِّ عَلَى النَّهْجِ السَّوِيِّ.

نَوْعٌ (مِنْ) وَدَلَالَتُهَا فِي «أَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»:

حَرْفُ الْجَرِّ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» لِلتَّبْعِيضِ، فَيُفِيدُ الْأَمْرَ بِاللَّحَاقِ بِرَكْبِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَالْمَعْنَى: وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونُ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْتَظِمُ فِي سَلَكِهِمْ وَزَمَرَتِهِمْ، فَأَفَادَ هَذَا الْحَرْفُ أَنَّ الْمُسْلِمَ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْبِنَاءِ الْعَامِّ لِلأُمَّةِ، وَأَنَّهُ لِبَنَةِ مِنْ لِبَنَاتِهَا، وَالْمَعْنَى: أَنْ أَكُونُ مِنْ جَمَلَةِ الثَّابِتِينَ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ⁽²⁾.

بِلَاغَةُ اسْتِعْمَالِ مَفْرَدَةِ الْإِسْلَامِ دُونَ الْإِيمَانِ:

أَثَرَ النَّظْمِ الْكَرِيمِ اسْتِعْمَالَ مَفْرَدَةِ الْإِسْلَامِ دُونَ الْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْأَسْمُ الْعَلَمُ عَلَى دِينِ التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَكَانَ ذِكْرُهُ تَأْكِيدًا لِبَيَانِ وَحْدَةِ الرِّسَالَةِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ فَحَكَاهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» [البقرة: 131]، وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ ﷺ بِقَوْلِهِ: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ» [البقرة: 128]، وَعَنْ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ بِقَوْلِهِمْ: «وَنَحْنُ لَهُو مُسْلِمُونَ» [البقرة: 133]، وَعَنْ يُوسُفَ ﷺ بِقَوْلِهِ: «تَوَفَّنِي مُسْلِمًا» [يوسف: 101]، وَعَنْ مُوسَى ﷺ بِقَوْلِهِ: «فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ» [يونس: 84]، وَعَنْ سُلَيْمَانَ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ» [النمل: 31]، وَعَنْ عِيسَى وَالْحَوَارِيِّينَ بِقَوْلِهِمْ: «وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ» [المائدة: 111]⁽³⁾.

المسلم لبنة
في جسد الأمة
الواحد

وحدة الرسالة
والمُرسلين تتمثل
في الاسم العَلَم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 229 / 14، والشوكاني، فتح القدير: 180 / 4.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 306 / 6.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 242 / 11.

وفي استعمال لفظ الإسلام موافقةً لمُعْظَمِ المواطنين السابقة في السُّورَةِ، كقولهِ تعالى: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [التَّمَلُّ: 31]، وقولهِ: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [التَّمَلُّ: 38]، وقولهِ: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [التَّمَلُّ: 42]، وقولهِ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [التَّمَلُّ: 44]، وقولهِ: ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [التَّمَلُّ: 81].

فائدة التعبير بالجاء والمجرور:

جاء التعبير بالجاء والمجرور في قوله تعالى ذكره: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، دون أَنْ يُقَالَ: (أَنْ أَكُونَ مُسْلِمًا)؛ وذلك لأنَّ معناه: أَنْ أَكُونَ مِنَ الْفِتَةِ الَّتِي يَصْدُقُ عَلَيْهَا هَذَا الْوَصْفُ، وهو الإسلام⁽¹⁾، وفي ذلك تنويهٌ بهذه الأمة وتشريفٌ لها؛ إذ جعلَ اللهُ رسوله مُنْخَرِطًا فِي سَلَكِهَا، وَفَرْدًا مِنْ أَفْرَادِهَا⁽²⁾. يضافُ إلى ذلك أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ مراعاةً لتلاوُمِ فَوَاصِلِ الْآيَاتِ.

بلادة عطف التلاوة على الإسلام:

قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وفائدة هذا العطف: أَنَّهُ بَعْدَ بَيَانِ مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَفْسِهِ - وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - أَتْبَعَ ذَلِكَ بَيَانِ مَا تَعَمُّ فَائِدَتُهُ غَيْرُهُ⁽³⁾، وهو تلاوةُ القرآنِ على النَّاسِ، فمقتضى الإسلامِ تلاوةُ القرآنِ، الَّذِي هُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

فائدة استعمال مفردة التلاوة مادةً وصيغة:

جاء استعمالُ مفردة التَّلاوةِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷻ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ دون مرادفاتِها؛ لِبَيَانِ أَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِيهَا مَعْنَى الْإِتِّبَاعِ وَالْإِقْتِفَاءِ، فَهِيَ تِلَاوَةٌ لَفْظِيَّةٌ لِتَحْقِيقِ تِلَاوَةِ سُلُوكِيَّةٍ، وَآثَرَ

وحدة الأمة
بالإسلام
وشرفها
بالانضمام
لعموم المسلمين

ثمرة الإسلام
تلاوة القرآن
بغرض الدعوة
إلى الإسلام

تلاوة القرآن
تشمل اللفظ
والسلوك
الدائمين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 241 / 11 - 242.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 57 / 20.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 229 / 14.

النَّظْمُ التَّعْبِيرَ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى طَلَبِ اسْتِمْرَارِ التَّلَاوَةِ وَتَجْدُّدِهَا⁽¹⁾، وَغَرَضُ ذَلِكَ تَكْرِيرُ دَعْوَةِ النَّاسِ وَإِرْشَادِهِمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَنْبِيهًا عَلَى كِفَايَتِهِ فِي الْهَدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى إظهارِ مُعْجَزَةٍ أُخْرَى⁽²⁾. وَقِيلَ: أَوَاطِبَ عَلَى قِرَاءَتِهِ لَتَنْكَشِفَ لِي حَقَائِقُهُ الْمَخْزُونَةُ فِي تَضَاعُفِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا⁽³⁾، وَأُظْفِرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَتَفَتَّقَ لِي بِهِ أَكْمَامُ الْأَسْرَارِ وَالْفُيُوضَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَفِي ذَلِكَ إِيقَاطٌ وَتَنْبِيهٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ مُفَرِّطٍ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

بلادة الكناية:

المقصود بالتلاوة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ﴾ تلاوة الدعوة والإرشاد إلى الحق، فهو كناية عن الدعوة، وعليه: فمُتَعَلِّقٌ فَعْلُ التَّلَاوَةِ مَحْذُوفٌ لظهوره، والتقدير: (وَأَنْ أتلوه على الناس)⁽⁴⁾، وفي هذا الحذف إيجاز واختصار، وتعميم للتلاوة، بحيث تشمل المسلمين والمشركين.

تلاوة القرآن
تلاوة دعوة
وإرشاد

توجيه تخصيص التلاوة بالذكر:

خَصَّ النَّظْمُ الْكَرِيمُ فَعْلَ التَّلَاوَةِ بِالذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ﴾؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ أَفْرِدَتْ بِالذِّكْرِ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ جُمْلَةِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ، وَفِي قَرْنِهَا بِالْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِسْلَامِ مِنَ التَّنْوِيهِ بِشَأْنِهَا مَا لَا يَخْفَى، فَالتَّلَاوَةُ هِيَ الْفِعْلُ الَّذِي لَا يَعْجُزُ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ التَّلَاوَةُ هِيَ الْحَصْنُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي اسْتِمْرَارِهَا فِي الْعِلَاقَةِ مَعَ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ.

التنبيه على
عظم شأن تلاوة
القرآن

نكتة التعبير بالقرآن دون الكتاب:

أَثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمِ اخْتِيَارَ لَفْظِ ﴿الْقُرْآنَ﴾ دُونَ الْكِتَابِ فِي

المناسبة معيار
في اختيار اللفظ
دون مقارباته

(1) الخفاجي، عناية القاصي: 60 / 7.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 306 / 6.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 169 / 4.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 57 / 20.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْتُلُوا الْقُرْآنَ﴾؛ لأنه أنسب بالتلاوة؛ فهي بمعنى القراءة، والقرآن في الأصل مصدر مرادف للقراءة، ثم نُقِلَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْمَصْدَرِي، وَجُعِلَ اسْمٌ لِلْكَلامِ الْمُعْجَزِ الْمُنْزَلِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ عَلَى مَفْعُولِهِ⁽¹⁾. وَلَأنَّ الْقُرْآنَ عَلَّمَ عَلَى مَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ أَرْسَخُ فِي التَّعْرِيفِ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ الْأَصْلِيَّ أَدْخَلَ فِي تَعْرِيفِ الْمُسَمَّى مِنَ الْعِلْمِ بِالْغَلْبَةِ؛ فَسَوَاءٌ نَكَّرَ لَفْظُ الْقُرْآنِ أَوْ عُرِّفَ بِاللَّامِ، فَهُوَ عَلَّمَ عَلَى كِتَابِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ نَكَّرَ فَتَكْبِيرُهُ عَلَى أَصْلِ الْأَعْلَامِ، وَإِنْ عُرِّفَ فَتَعْرِيفُهُ لِلْمَحِ الْأَصْلِ قَبْلَ الْعِلْمِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَنْقُولٌ مِنَ الْمَصْدَرِ الْمُرَادِفِ لِلْقِرَاءَةِ⁽²⁾.

نوع الفاء وفائدتها:

بعدما ذَكَرَ الْأَمْرَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَى النَّاسِ لِدَعْوَتِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى الْحَقِّ كَمَا هُوَ أَحَدٌ وَجْهِ التَّفْسِيرِ، نَاسَبَ أَنْ يُفْرَعَ عَلَيْهِ بَفَاءِ التَّفْرِيعِ مَا يَقْتَضِي انْقِسَامَ النَّاسِ إِلَى مُهْتَدٍ وَضَالٍّ، أَيْ: مُنْتَفِعٍ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ، وَغَيْرِ مُنْتَفِعٍ⁽³⁾، وَالتَّقْدِيرُ: (مِنْهُمْ مَنْ اهْتَدَى، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَلَّ)، وَفِي هَذَا التَّفْرِيعِ تَرْغِيبٌ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ، وَتَحْذِيرٌ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الضَّلَالِ وَالْإِعْرَاضِ.

دلالة التعبير بالشرط:

جاءَ بِأَسْلُوبِ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾؛ لِإِفَادَةِ قُوَّةِ الْارْتِبَاطِ بَيْنَ اهْتِدَاءِ الْإِنْسَانِ وَضَلَالِهِ، وَبَيْنَ كَوْنِ مَنْفَعَتِهِ لَهُ أَوْ مَضَرَّتِهِ عَلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ قَطْعٌ لِدَابِرِ ظَنٍّ مَنْ يَظُنُّ خِلَافَ ذَلِكَ، وَلِلتَّنْبِيهِ بِالشَّرْطِ عَلَى عَمُومِ الْحُكْمِ؛ فَإِنَّ عَمَلَ أَحَدٍ لَا يَلْحَقُ نَفْعُهُ وَلَا ضَرُّهُ بِغَيْرِهِ، إِلَّا مَا

ترغيبُ النَّاسِ
بالاهْتِدَاءِ بِالْمُتْلُوِّ
وتحذيرُهم مِنْ
الإِعْرَاضِ

كُلُّ إِنْسَانٍ
مَحَاسِبٌ
عَلَى أَعْمَالِهِ
الْإِخْتِيَارِيَّةِ

(1) الزَّرقَانِي، مَنْاهِلُ الْعُرْفَانِ: 14 / 1.

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 9 / 14.

(3) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 57 / 20.

خَصَّهُ الدَّلِيلُ؛ فَكَانَ الشَّرْطُ بَيَانًا لِمَالَاتِ الْأَفْعَالِ، وَمَا يُصِيبُ الْعَامِلَ مِنْ جَزَاءٍ، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحَاسِبُ النَّاسَ إِلَّا عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ.

عِلَّةُ التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ الْمَاضِي:

الظَّاهِرُ أَنَّ يُقَالُ: (فَمَنْ يَهْتَدِ)، وَ(وَمَنْ يَضِلُّ)؛ لِأَنَّ الْإِهْتِدَاءَ وَالضَّلَالَ يَكُونَانِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالنِّسْبَةِ لَزَمَنِ التَّلَاوَةِ، لَكِنْ جَاءَ التَّعْبِيرُ بِصِيغَةِ الْمَاضِي، فَقِيلَ: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾؛ لِإِفَادَةِ أَنَّ تَرْتُّبَهُمَا عَلَى التَّلَاوَةِ أَمْرٌ مُتَحَقِّقٌ مُتَيَقَّنٌ؛ لِأَنَّ شَأْنَ النَّاسِ عَادَةً أَنْ يَنْقَسِمُوا فِي الْحَقِّ فَرِيقَيْنِ، وَإِخْبَارُ اللَّهِ تَعَالَى لَا إِخْلَافَ فِيهِ، وَلِبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحَاسِبُ النَّاسَ إِلَّا بَعْدَ تَحَقُّقِ أَعْمَالِهِمْ، وَإِنْجَازِ إِرَادَاتِهِمْ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْإِهْتِدَاءِ دُونَ الْإِيمَانِ:

اخْتِيرَ فِي النَّظْمِ لَفْظُ الْهَدَايَةِ ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ دُونَ الْإِيمَانِ؛ فَلَمْ يَقُلْ: (فَمَنْ آمَنَ)؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ تَحْقِيقُ الْإِهْتِدَاءِ، وَالْإِيمَانُ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْإِهْتِدَاءِ، فَيَدْخُلُ فِي الْإِهْتِدَاءِ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالْقَوْلُ الطَّيِّبُ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَائِرُ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُدْخِلُ صَاحِبَهَا الْجَنَّةَ، فَكَانَ الْإِهْتِدَاءُ عُنْوَانًا لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَلَوْ ذُكِرَ الْإِيمَانُ لَأَفَادَ بَعْضًا مِنْ ذَلِكَ.

نَوْعُ الْفَاءِ وَوُضُوعُهَا الْإِرْتِبَاطِيَّةُ:

الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ فَاءُ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَهِيَ رَابِطَةٌ لْجَوَابِ الشَّرْطِ بِجَمَلَتِهِ، وَغَرَضُهَا تَقْوِيَةُ السَّبَبِيَّةِ بَيْنَهُمَا، وَتَأَكِيدُ تَرْتُّبَ نَفْعِ الْمُهْتَدِي عَلَى الْإِهْتِدَاءِ.

بَلَاغَةُ الْإِنْطَابِ بِالْقَصْرِ:

الظَّاهِرُ أَنَّ يُقَالُ: (فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ)، لَكِنْ أُطْنِبَ بِأَسْلُوبِ الْقَصْرِ، فَقِيلَ: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، وَهُوَ مِنْ قَصْرِ الْمُوصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ قَصْرَ قَلْبٍ؛ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ يَمُنُّ عَلَى النَّبِيِّ

الحسابُ بعد
ثبوتِ العملِ
وإنجازه

الاهتداءُ عنوانٌ
عريضٌ شاملٌ
للأعمالِ التي
تُدخلُ صاحبها
الجنةَ

الفاءُ لتقوية
السببيةِ بينهما،
وتوكيدِ الترتبِ

الاهتداءُ بالغٍ
للمهتدي، غير
ضارٍّ غيره

بِإِسْلَامِهِ، وَيُظَنُّ أَنَّ نَفَعَ إِسْلَامِهِ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ﷺ، فَكَانَ الْقَصْرُ مُفِيدًا أَنَّ اهْتِدَاءَهُ مَقْصُورٌ عَلَى تَعَلُّقِ اهْتِدَائِهِ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِنَفْسِهِ﴾، أَي: بِفَائِدَةِ نَفْسِهِ، لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى التَّعَلُّقِ بِفَائِدَةِ غَيْرِهِ، وَالْمَعْنَى: فَمَنْ اهْتَدَى بِاتِّبَاعِهِ إِيَّايَ فِيمَا أَنَا بِصَدَدِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَالْدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتِلَاوَةِ مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ مِنَ الْوَحْيِ، فَمِنْ فَائِدَةِ اهْتِدَائِهِ رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ لَا إِلَى الدَّاعِي⁽¹⁾؛ لِأَنَّ فَائِدَةَ الدَّاعِي وَأَجْرَهُ ثَابِتَةٌ عَنِ التَّبْلِغِ، سِوَاءِ اهْتَدَى مَنْ اهْتَدَى، أَمْ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ.

بلغة اختلاف التقابل في الصيغ:

لا يأمنُ العاقلُ
الفتنَ، ولا يأمنُ
المؤمنُ المخن

اختلفت صيغةُ المقابلة بين صيغة فعل الشرط وجوابه في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، ولم تتوافقا، فلم يُقَلْ: (فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا اهْتَدَى لِنَفْسِهِ) بحيث يتوافق فعل الشرط والجزاء في الماضوية؛ وذلك للدلالة على الاستمرار والتجدد فيما بقي من زمان المهتدي، ففعل الشرط جاء بالماضي لبيان التحقق، وجوابه جاء مضارعاً؛ للحض على العمل؛ أي: فَإِنَّمَا يَتَجَدَّدُ نَفْعُ الْاهْتِدَاءِ وَيَسْتَمِرُّ، وَفِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ بِعَظَمِ غَنِيمَةِ الْمُهْتَدِي؛ فَإِنَّ الْاهْتِدَاءَ يَكُونُ مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يَصُونُهُ صَاحِبُهُ مِنَ الْارْتِدَادِ وَالنُّكُوسِ عَلَى الْعَقَبِ، ففیه تحذیرٌ مِنَ الْحَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَحَدٌ عَلَى نَفْسِهِ.

براعة فنّ الجناس:

أعظم ما يجنيه
المهتدي الاهتداء
نفسه

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ جَنَاسٌ نَاقِصٌ بَيْنَ ﴿اهْتَدَى﴾ وَ﴿يَهْتَدِي﴾، وَهُوَ مِنَ الْمُحْسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ، وَفَائِدَتُهُ إِظْهَارُ التَّشَاكُلِ وَالتَّلَاوُمِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَجَانِسَةِ، وَفَائِدَتُهُ فِي الْآيَةِ بَيَانُ فَضِيلَةِ الْاهْتِدَاءِ، وَأَنَّ أَعْظَمَ مَا يَجْنِيهِ الْمُهْتَدِي هُوَ الْاهْتِدَاءُ نَفْسُهُ، فَهُوَ أَعْظَمُ مَأْمُولٍ، وَأَنْفَعُ مَطْلُوبٍ.

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 389.

بلادة اللَّامِ ودلائلها:

اللَّامُ في قولِ اللَّهِ جَلَّ شَأُوهُ: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾^ط لبيانِ أَنَّ غايةَ الاهتداء هي نفعُ المهتدي نفسه، واللامُ دالةٌ على الملكِ، ففيه استعارةٌ معنى النفع؛ فإنما يملكُ الشيءُ النافعُ الذي يُدخِرُ للنَّوَابِ⁽¹⁾، وفي التَّعبيرِ بها هنا تنبيهٌ على أَنَّ الاهتداءَ نعمةٌ وِغْنَى لصاحبه، وفي ذلك زيادةٌ تحريضٍ للسامعينَ على الاهتداءِ بهدْيِ القرآن؛ رجاءَ النَّفْعِ والخيرِ.

نكتة استعمال مفردة النَّفْسِ:

جاءَ بلفظِ (النَّفْسِ) في قوله ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، ولم يُقَلْ: (فإنما يهتدي له)؛ لبيانِ أَنَّ منفعةَ الاهتداءِ راجعةٌ إلى المهتدي نفسه حقيقةً، ولدفعِ توهمِ التَّجَوُّزِ في الكلام؛ إذ لو قيل: (له) لربَّما ظُنَّ أَنَّ المنفعةَ راجعةٌ إلى مَنْ لَهُ صَلََّةٌ به، كإبيه، أو زوجِه، أو أخيه، أو أحدِ أبويه، أو نحو ذلك، ولما كانت النَّفْسُ أهما ما يُرجى له الخيرُ من صاحبِها، ذَكَرَ النَّظْمُ هذا اللَّفْظَ لتحفيزِ المهتدي وتطمينه على نيلِ نفسه تلكِ المنافعِ والخيراتِ.

بلادة عطفِ القسيمِ على قسيمه:

الواوُ في قوله تعالى شأنه: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾؛ لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةِ ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، ونكتةُ العطفِ: استكمالُ ذِكْرِ أفرادٍ ما يتفرَّعُ على تلاوةِ القرآنِ مِنْ انقسامِ النَّاسِ إلى مُهْتَدٍ وضالٍّ، وذلك جارٍ على عادةِ القرآنِ الكريمِ بتعقيبِ البشارةِ بالندارةِ، وبالعكسِ، وفيه زيادةٌ تنويهٍ بشأنِ الاهتداءِ؛ لأنَّ بيانَ قُبْحِ الضَّلالِ وسوءِ عاقبتهِ يزيدُ الاهتداءَ بهاءً وجلالاً في أعينِ المُهْتَدِينَ، ويدعوهم إلى التَّمَسُّكِ بهِ.

الاهتداءُ غِنَى
لصاحبه وكنزٌ
دفينٌ لراجيه

نفعُ الاهتداءِ
راجعٌ للمُهْتَدِي
حقيقةً

ذِكْرُ الشَّقِيِّ بعدَ
السَّعِيدِ ترهيبٌ
بعدَ ترغيبٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 419 / 7.

بلاغة استعمال مفردة الضَّلَالَةِ دُونَ الْكُفْرِ:

الضَّلَالُ أَعَمُّ مِنَ
الْكُفْرِ، وَالْكُفْرُ
إِحْدَى ثَمَرَاتِهِ
وَفُرُوعِهِ

جاء استعمال مفردة الضَّلَالَةِ دُونَ الْكُفْرِ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾؛ لَأَنَّهُ أَنْسَبُ بِمُقَابَلَةِ الْاهْتِدَاءِ، فَالضَّلَالُ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالسُّلُوكِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْخُسْرَانِ، وَدُخُولِ النَّيْرَانِ، فَكَانَ هَذَا اللَّفْظُ أَعَمُّ مِنْ لَفْظِ الْكُفْرِ، مِمَّا أَفَادَ التَّنْبِيهَ وَالتَّحْذِيرَ مِنْهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَبْدَأُ كَافِرًا، بَلْ يَبْدَأُ بِطَرِيقِ الضَّلَالِ لِيَنْتَهِيَ إِلَى أَعْظَمِهِ وَهُوَ الْكُفْرُ، فَكَانَ ذِكْرُ الْبِدَايَةِ أَدْلَّ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنْ ذِكْرِ النِّهَايَةِ، وَالْأَعَمُّ أَقْوَى مِنْ ذِكْرِ الْأَخْصَصِ.

بلاغة فَنِّ الطَّبَاقِ:

التَّنْبِيهُ عَلَى
طَرِيقَيِ الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ

في الآية طَبَاقٌ بَيْنَ فِعْلِي ﴿أَهْتَدَى﴾ و﴿ضَلَّ﴾، وَهُوَ مِنَ الْمُحْسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَفَائِدَتُهُ بَيَانُ حَالَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، وَهُمَا حَالُ مُهْتَدٍ رَاسِخٍ فِي اهْتِدَائِهِ، وَحَالُ ضَالٍّ غَارِقٍ فِي غَيِّهِ وَضَلَالِهِ، وَالْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَتَأَمَّلَ النَّاطِرُ مَا لَ كُلِّ مِنَ الْحَالَيْنِ، لِيَخْتَارَ مَا فِيهِ رُشْدُهُ وَنَجَاتُهُ.

بلاغة إثبات الإثبات على النفي:

ضَالُّ الضَّالِّ
حُكْمٌ حَتْمِيٌّ

جاء التعبيرُ عَنْ إِثْبَاتِ الضَّالِّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾، دُونَ النَّفْيِ فَلَمْ يَقُلْ: (وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ)؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يَدُلُّ عَلَى ضَلَالِهِ بِدَلَالَةِ الْمُطَابَقَةِ، وَقَوْلُ: (وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ) يَدُلُّ عَلَيْهِ بِدَلَالَةِ الْإِلْتِزَامِ، وَالْأَوَّلُ - لِمَا فِيهِ مِنَ التَّصْرِيحِ بِضَلَالِهِ - أَنْسَبُ بِصُنْعَةِ التَّنَادُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ﴿أَهْتَدَى﴾، وَأَبْلَغُ فِي الدِّمِّ⁽¹⁾، وَأَوْجَزُ، كَمَا أَنَّ إِثْبَاتَ الضَّلَالِ حُكْمٌ حَتْمِيٌّ، بِخِلَافِ (مَنْ لَمْ يَهْتَدِ) فَإِنَّ الْحُكْمَ لَمْ يَتِمَّحْضَ بَعْدَ.

نوعُ الْفَاءِ وَدَلَالَتُهَا:

ارتباطُ الْفَاءِ
بِالْجَوَابِ ارْتِبَاطٌ
السَّبَبُ بِنَتِيجَتِهِ

يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أَنْ يَكُونَ جَوَابَ الشَّرْطِ، بِتَقْدِيرِ عَائِدٍ عَلَى اسْمِ الشَّرْطِ، أَيْ: مِنَ الْمُنْذِرِينَ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 463/14.

لَهُ⁽¹⁾، والفاءُ واقعةٌ في جوابِ الشرطِ، وفائدتها زيادةُ رَبطِ الجزاءِ بالشرطِ، وتقويةُ السَّبَبِيَّةِ بينهما. ويحتملُ أن يكونَ الجوابُ محذوفًا، والتَّقديرُ: فوبالُ ضلالِهِ عليه⁽²⁾، أو: فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَأُقِيمَ ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ مقامُهُ؛ لكونِهِ كَالِعلَّةِ لَهُ، فالفاءُ للتَّعليلِ⁽³⁾.

نُكْتَةُ ذِكْرِ فِعْلِ الْقَوْلِ:

ذُكِرَ فِعْلُ الْقَوْلِ ﴿فَقُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، ولم يُقَلْ: (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا) بحذفِهِ؛ لتأكيدِ أَنَّ حَظَّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ دَعْوَةِ الْمُعْرِضِينَ الضَّالِّينَ أَنْ يُبَلِّغَهُم الْإِنذَارَ، فلا يطمَعوا بإعراضهم أَنْ يُلْحَ عَلَيْهِمْ؛ لِيَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ⁽⁴⁾، وافتتاحِ الجملةِ بالأمرِ بالقولِ فِيهِ تَبْيِيهُ عَلَى أَنَّهُ تَبْلِيغٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ جَدِيرٌ بِالتَّلَقِّيِ بِأَذْنٍ وَاعِيَةٍ.

نُكْتَةُ حَذْفِ الْقَوْلِ لَهُ:

الظَّاهِرُ أَنَّ يُقَالُ: (فَقُلْ لَهُ) بِرِعايَةِ لَفْظِ (مَنْ)، أو (فَقُلْ لَهُمْ) بِرِعايَةِ مَعْنَاهَا، لَكِنْ حُذِفَ الْقَوْلُ لَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾؛ لِيَكُونَ الْقَوْلُ مُطْلَقًا عَامًّا لِلضَّالِّ وَغَيْرِهِ، أَي: فَقُلْ لِلضَّالِّ وَلِغَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ: إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ؛ لِيُظْهَرَ لِلْجَمِيعِ بَرَاءَةُ سَاحَتِكَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ وَاجِبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلِيَكُونَ قَوْلُكَ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِضَالٍ دُونَ سِوَاهِ.

نَوْعُ الْقَصْرِ وَفَائِدَتُهُ:

كَانَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ يُظْهَرُ أَنَّهُ يَغِيظُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْبَقَاءِ عَلَى الْكُفْرِ، فَجِيءَ بِالْقَصْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، وَهُوَ مِنْ قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ قَصْرَ قَلْبٍ؛ لِإِفَادَةِ أَنَّ ضَلَالَهُ

إِنذَارُ اللَّهِ حَرْقِي
بِتَلْقِيهِ، جَدِيرٌ
بِتَحْرِيقِهِ

إِطْلَاقُ الْإِعْلَامِ
بِالْإِنذَارِ خَيْرٌ مِنْ
التَّقْيِيدِ

وَبِالْضَّالِّ
مَخْتَصٌّ
بِصَاحِبِهِ، قَاصِرٌ
عَنْ بُلُوغِ غَيْرِهِ

(1) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الذَّرِّ لِلصَّوْنِ: 647 / 8.

(2) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الذَّرِّ لِلصَّوْنِ: 647 / 8.

(3) الْقَوْنُو، حَاشِيَتُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: 463 / 14.

(4) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 57 / 20.

مقصورٌ على التَّعلُّقِ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِهِ، لَا يَتَجَاوِزُهُ إِلَى التَّعَلُّقِ بِمَضَرَّةِ النَّبِيِّ ﷺ⁽¹⁾؛ لِأَنَّهُ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَقَدْ بَلَغَ ﷺ، وَفِي ذَلِكَ دَفْعٌ لِمَا عَسَى أَنْ يَتَوَهَّمَ بَعْضُهُمْ مِنْ حَرْصِهِ ﷺ عَلَى هِدَايَتِهِمْ أَنَّهُ يَرْجُو بِذَلِكَ دَفْعَ ضَرٍّ عَنْ نَفْسِهِ.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ:

قَدْ مَ «أَنَا» عَلَى «مِنَ الْمُنْذِرِينَ»؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مُقْتَضٍ لِتَأْخِيرِهِ، وَلِأَنَّ الْمَقْصُورَ عَلَيْهِ هُوَ «مِنَ الْمُنْذِرِينَ»، وَهُوَ يُؤَخَّرُ فِي (إِنَّمَا)⁽²⁾.

نَوْعُ «مِنَ» وَدَلَالَتُهَا:

حَرْفُ الْجَرِّ «مِنَ» فِي قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: «إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ» لِلتَّبْعِيضِ، فَيُمَيِّدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْضُ الْمُرْسَلِينَ الْمُنْذِرِينَ، وَفَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِهِمْ، وَسُنَّةٌ هَؤُلَاءِ الْمُرْسَلِينَ أَنْ يَكُونُوا مُبَلِّغِينَ مَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ بِهِ، وَالرَّسُولُ كَذَلِكَ، فَهُوَ مُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّهِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا.

نُكْتَةُ إِثَارِ الْجَمْعِ عَلَى الْإِفْرَادِ:

آثَرُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ الْإِثْيَانُ بِالْجَمْعِ دُونَ الْإِفْرَادِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ»؛ فَلَمْ يَقُلْ: (إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ)؛ لِبَيَانِ انْخِرَاطِهِ فِي الثَّلَاثَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَظِيمَةِ؛ إِذْ مَعْنَاهُ: إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْفَتَةِ الَّتِي يَصْدُقُ عَلَيْهَا هَذَا الْوَصْفُ، وَهُوَ النَّذَارَةُ، وَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَاحِدٌ مِنَ الرُّسُلِ، وَسُنَّتُهُ سُنَّتُهُمْ، وَهِيَ التَّبْلِغُ⁽³⁾، فَكَمَا لَمْ يَلْحَقَهُمْ ضَرٌّ بِإِعْرَاضِ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ فَهُوَ كَذَلِكَ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَاعَاةِ فَوَاصِلِ الْآيَاتِ.

بَلَاغَةُ فَرْقِ الْإِحْتِبَاكِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا

الأصل تقديم
المُسْنَدِ إِلَيْهِ إِذَا
لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ
مُقْتَضٍ لِتَأْخِيرِهِ

النَّبِيُّ ﷺ بَعْضُ
الْمُرْسَلِينَ الْمُنْذِرِينَ

الإنذار شأن
جميع المرسلين
وسنة كل
النبيين

حذف الإشارة
لحضور أصلها،
وذكر التذارة
للتنبية على
وبال مخالفته

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309 / 11.

(2) التفاتاني، المختصر، ص: 348.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 57 / 20.

أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ إيجازٌ بدیعٌ يُسمَّى الاحتباك، فقد حُذِفَ مِنَ الْجُمْلَةِ الأولى ما أُثْبِتَ نظيره في الثانية، وحُذِفَ مِنَ الثَّانِيَةِ ما أُثْبِتَ نظيره في الأولى، فذكرُ النَّذَارَةِ يقتضي إثباتَ البَشَارَةِ، وذكرُ النَّفْعِ يقتضي إثباتَ الضَّرِّ، والتَّقْدِيرُ: (فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَقُلْ: إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُبَشِّرِينَ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَقُلْ: إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ).

توجيه التشابه اللفظي:

تشابه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ مع قوله: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: 41]. فقد قُصِرَ الاهتداءُ على المهتدي في آيتي يونس والنمل، وتُركَ في آية الزمر؛ لأنَّ آيتي يونس والنمل فيهما أمرٌ بمخاطبةِ المشركين، فكان المقامُ فيهما مناسباً لبيان أنَّ فائدةَ اهتدائهم لا تعودُ إلا لأنفسهم، وليس للنبيِّ ﷺ منفعةٌ من اهتدائهم، خلافاً لآيةِ الزمر؛ فإنَّها خطابٌ موجَّهٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ إلى رسوله ﷺ، وليس فيها حالٌ مَنْ يُنْزَلُ منزلةً مَنْ يَمُنُّ على النبيِّ ﷺ باهتدائه.

أما صيغةُ القصرِ في قوله: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: 108] فهي لتنزِيلِ الرِّسُولِ ﷺ في أَسْفِهِ على ضلالِهم المُفْضِي بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ مَنْزِلَةً مَنْ يَعُودُ عَلَيْهِ ضُرٌّ مِنْ ضلالِهم، فخطِيبٌ بصيغةِ القصرِ، وهو قصرُ قلبٍ في الآياتِ الثلاثِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ هَذَا: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ في معنى قوله في الآيتين: ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: 108]⁽¹⁾، كما بيِّنَ في نُكْتَةِ الاحتباك.

نظم التراكيب
والمباني تابع
لدلالة السياق
والمعاني

فائدة العطف ودلالته:

القيام بحق
النذارة موجب
للحمد

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لعطف هذه الجملة على جملة ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، وفائدة هذا العطف: الحث على الحمد بعد ذكر ما وفق الله نبيه ﷺ من القيام بأداء الرسالة وبالإنذار⁽¹⁾، فدل على أن القيام بحق النذارة موجب للحمد.

نكتة تكرار فعل القول:

من فوائد التكرار
العناية بالمذكور
والتنبيه على
أهميته

آثر النظم الكريم تكرار فعل الأمر (قل) دون الاكتفاء بدلالة العطف على الجملة السابقة: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾؛ وذلك لإظهار مزيد العناية بمضمون هذا المقول، والتنبيه على أنه خليف بأن يتلقى بالاهتمام من السامع، ولذلك جاء به في صورة كلام مستقل عن سابقه، ولو كان من جملة المقول السابق لربما ظن السامع أنه تابع له، ومن تمتته؛ فلم يلتفت إليه، كما أن في التصريح بالقول تعليمًا للخلق أن يحمدا الله تعالى؛ إذ قدوتهم في ذلك النبي ﷺ.

بلاغة حذف المقول له:

شأن الحامد
إظهاراً للحامد

آثر النظم الكريم حذف المقول له، فلم يقل: (فقل لهم) في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ ليكون القول مطلقاً شاملاً لكل الناس، أي: فقل لهؤلاء ولغيرهم: الحمد لله، وليكون الاقتداء عاماً لكل من يصلح أن يقع منه الحمد، وفي ذلك إيذان بأن من شأن الحامد إفشاء حمد الله تعالى وإظهاره والإكثار منه، بحيث يتصل بسمع كل من سمع الخطاب؛ ليكون في ذلك تحدث بنعمة الله من غير كبير ولا بطر، وابتهاج بها، وهو أدعى لطلب المزيد من المنعم.

بلاغة الجملة الاسمية:

حمد الله دائماً
في لسان العالم

جاء بالجملة الاسمية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ لأنها تدل على دوام الحمد

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 576 / 24.

وثباته⁽¹⁾، فحمدُ الله تعالى لا ينقطع؛ لأنَّ إحسانه سبحانه لا ينقطع، ولو أنَّ العبدَ قضَى عمره كله في حمدِ الله تعالى على نِعَمِهِ ما وفَّاهُ حقَّ حمده ولا أقلَّ من ذلك.

نوع التعريف في لفظ «الْحَمْدُ»:

تعريف «الْحَمْدُ» في قوله ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» للجنس، ويلزم منه معنى الاستغراق؛ لأنَّ الحكمَ باختصاصِ جنسِ الحمدِ به تعالى - لوجودِ لامِ تعريفِ الجنسِ في «الْحَمْدُ»، ولامِ الاختصاصِ في «لِلَّهِ» - يستلزمُ انحصارَ أفرادِ الحمدِ في التعلُّقِ بالله سبحانه؛ لأنَّه إذا اختصَّ الجنسُ اختصَّتْ أفرادُه⁽²⁾، والمعنى: جنسُ الحمدِ لله تعالى، ويلزمُ منه أنَّ جميعَ أفرادِ المحامدِ له جُلُّ ذكره.

غرض تقديم المسند إليه:

قدَّم ذكر «الْحَمْدُ» على «لِلَّهِ»؛ لأنَّ المقامَ مقامَ حمدٍ؛ إذ هو تعدُّدُ نِعَمٍ جليَّةٍ تستوجبُ الحمدَ، وهي التَّوْحِيدُ، والإسلامُ، وتلاوةُ القرآن، ولو أُخِّرَ لفظُ «الْحَمْدُ» لأخلَّ بالاهتمام، وأهميَّةُ الحمدِ عارضةٌ، وأهميَّةُ ذكرِ الله ذاتيَّةٌ، والأهميَّةُ العارضةُ تقدُّمٌ على الأهميَّةِ الذاتِيَّةِ؛ لأنَّها أمرٌ يقتضيه المقامُ والحال، ولما تعلَّقَ الحمدُ باسمِ الله تعالى، كان في الاهتمامِ به اهتمامٌ بشؤونِ الله ﷻ⁽³⁾.

نوع اللام ودلالاتها:

الظاهر أنَّ اللامَ في قوله تعالى: «لِلَّهِ» للاختصاصِ، فتفيدُ اختصاصَ الحمدِ بالله تعالى، وفيها تنبيهٌ للعبدِ على ضرورةِ نسبةِ النِّعمِ للمُنعمِ بها، وصَرَفِ الحمدِ لمُسْتَحِقِّهِ، فذلك من كمالِ الشُّكرِ، فالنِّعمُ كلها - ومنها النِّعمُ المذكورةُ هنا - فيضٌ مَحْضٌ من فيوضاتِ رحمته سبحانه وإحسانه، وليس لغيره سبحانه منها قِطْمِيرٌ.

جميعُ أفرادِ
المحامدِ راسخةٌ
في صدرِ الحامدِ

النِّعمُ تُتلقَى من
العبدِ، ودوامُها
يبقى بالحمدِ

الحمدُ
استحقاقٌ
واجِبٌ،
واختصاصٌ
ثابتٌ للمتعالِ
سبحانه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 158.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 159 - 160.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 163.

فائدة استعمال لفظ الجلالة:

لفظ الجلالة
دالٌّ على جميع
الأسماء والصفات

اختيرَ لفظُ الجلالةِ دونَ غيره من الأسماءِ الحُسنى في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ لكونه دالًّا على جميع صفات الجلال والكمال والجمال، وجامعًا لكل الصفات والأسماء، ولأنه قد تقدّم ذكرُ العبادة في قوله سبحانه: ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾، ولفظُ الجلالة أنسبُ بها؛ إذ الله سبحانه هو المعبود بحق.

فائدة الاستئناف:

تحقق الوعيد
مقطوعٌ به،
مدفوعٌ خلافه

قوله تعالى: ﴿سَيُريْكُمُ آيَاتِي﴾ داخلٌ في مَقول القول، وقد جيء به مستأنفًا؛ للاحتراسِ ممَّا يتوهمه الكفار حين يسمعون آياتِ تبرُّؤِ النَّبيِّ ﷺ من معرفة الغيب، وقصرِ مقام الرسالة على الدعوة إلى الحق - من أن الوعيد بالعذاب لا يتحقق، فختِمَ الكلام ببيان أن الله لا يخلف وعده⁽¹⁾، وسيرهم آياته التي وعدهم بها.

دلالة استعمال السَّيْنِ:

مجيءُ التَّوَعُّدِ به
دانٍ قريبٌ

السَّيْنُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿سَيُريْكُمُ آيَاتِي﴾ مؤذنةٌ بأن هذه الإراءة قريبة⁽²⁾، وفي ذلك تنبيهٌ على وقوعها لا محالة، والمعنى: سَيُريكم البتَّة في الدنيا آياته الباهرة التي نطقَ بها القرآن⁽³⁾، وفي السَّيْنِ أيضًا إشارةٌ إلى فتح باب التَّوْبَةِ والإمهال، وأنه ما يزال أمامهم فُرْصةٌ ليتفكروا ويذعنوا للحق قبل أن يحيقَ بهم ما كانوا به يكذبون ويستهزؤون.

نكتة التعبير بالمضارع:

بيانُ دُنُوِّ وقوع
الإراءة والعرافان

جيءَ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿سَيُريْكُمُ آيَاتِي﴾ فتعرَّفُونَهَا؛ لأنَّ الإراءة والمعرفة أمرانِ حاصلانِ في المستقبل، والمضارع يدلُّ على المستقبل إن كانت قرينة، والقرينة هنا هي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 58/20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 58/20.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 307/6.

السَّيْنُ فِي ﴿سَيْرِكُمْ﴾، فكان التَّعْبِيرُ بصيغة المضارع الدَّالُّ على المستقبل؛ للإيماءِ إلى الوعيد المُكْتَنَزَ في بداية وقوع الفعل المضارع، فاكْتَسَى بزمان القُربِ الشَّدِيدِ، كأنَّه قيل: إِنَّ الإِراءَةَ قَريبَةٌ، وبدايَتِها في لحظات الفعل القادمة.

غرض الإخبار بإراءة الآيات:

في قوله تعالى: ﴿سَيْرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ تهديدٌ للمعاندين بما سيُريهم الله مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي تُلْجِئُهُمْ إِلَى المعرفةِ والإِقْرَارِ بِأَنَّهَا آيَاتُ اللَّهِ، وَذَلِكَ حِينَ لَا تَنْفَعُهُمُ الْمَعْرِفَةُ⁽¹⁾، وفي هذا التَّهْدِيدِ تحريكٌ لِسُلْسِلَةِ الطَّاعَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَكَسْرٌ لِسُورَةِ الْجَامِعِ الْأَبِيِّ مِنْهُمْ، واستنزالٌ لطائرٍ كَبَّرَهُمْ وَعَنَادَهُمْ.

بلادة استعمال لفظ الآيات:

جاء التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُتَوَعَّدِ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيْرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ بِالْآيَاتِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ سَيَحِلُّ بِهِمْ مَا يَكُونُ عِلَامَةً عَلَى تَصْدِيقِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ⁽²⁾، وفي ذلك مزيدٌ تخسيرٍ وتحسيرٍ للمُشْرِكِينَ، وتَنْدِيمٌ لَهُمْ حَيْثُ فُوتُوا النِّجَاةَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

فائدة جمع لفظ الآيات:

جُمِعَ لَفْظُ الْآيَاتِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷻ: ﴿سَيْرِكُمْ ءَايَاتِهِ﴾؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى كَثَرَةِ الْآيَاتِ وَتَنَوُّعِهَا وَتَعَدُّدِهَا؛ فالمرادُ بها - إِنْ كَانَ الْخَطَابُ لِلْمُكَذِّبِينَ فِي عَهْدِ النُّبُوَّةِ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ - الدُّخَانُ وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ خُرُوجِ الدَّابَّةِ وَسَائِرِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِنْ كَانَ الْخَطَابُ لَجَنَسِ النَّاسِ، لَا مَنْ فِي عَهْدِ النُّبُوَّةِ⁽³⁾.

كما أَنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِصِغَةِ الْجَمْعِ زِيَادَةَ تَخْوِيفٍ وَتَهْدِيدٍ لِلْمَعَانِدِينَ

قَزَعُ أَسْمَاعِ
الْمُشْرِكِينَ
بِالْوَعِيدِ،
وَالِاسْتِعْلَاءِ
عَلَيْهِمْ بِالتَّهْدِيدِ

وَقَوَعُ الْآيَاتِ
عِلَامَةُ الصِّدْقِ
وَأَمَارَةُ الْحَقِّ

الْآيَاتُ مُتَعَدِّدَةٌ
مُتَنَوِّعَةٌ لَزِيَادَةِ
التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ

(1) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 3/ 390، وَأَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ الْبَحِيطُ: 8/ 277.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 20/ 58.

(3) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَالِيَيْنِ: 10/ 249.

الجاحدين بكثرة ما سَيَّرُونَ، وَفَتَّ مِنْ عَصْدِهِمْ، وفيه كذلك إشارة إلى تكذيبهم بآيات كثيرة، وفي ذلك توبيخ لهم، وتوبيخ لحالهم؛ إذ يَصْدُقُ عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْأَيَّاتُ وَالْتُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101].

بلغة إضافية لفظ (آيات) إلى الضمير:

أُضِيفَتِ الْآيَاتُ إِلَى الضَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى شَأْنُهُ: ﴿سَيَّرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾؛ لتعظيم شأن الآيات وتفخيمها، ففيه بثٌّ للرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْمَعَانِدِينَ الْمُكَذِّبِينَ؛ لعلَّهم يَرْعَوْنَ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَيَنْزَجِرُونَ عَنْ غِيَّهِمْ وَضَلَالِهِمْ، عند معرفة أن هذه الآيات هي آياتُ العَظِيمِ جَلَّ فِي عِلَاهُ، وقد تَنَاقَضَتِ هَذِهِ الْإِضَافَةُ الْجَلِيلَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعَ إِضَافَاتٍ فِي مَوَاضِعٍ سَابِقَةٍ فِي السُّورَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [٨٣] حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي [التَّمْل: 83 - 84].

نوع الفاء ودلالاتها في ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾:

الفاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ لِعَطْفِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿سَيَّرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾، وفائدة العطف بها التَّنْبِيهُ عَلَى تَرْتِيبِ مَعْرِفَةِ الْآيَاتِ عَلَى إِرَاءَتِهَا، وَإِذَانُ بِسُرْعَةِ حُصُولِ الْمَعْرِفَةِ بَعْدَ تَحْقُقِ الْإِرَاءَةِ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْعَمَزِ فِي عُقْدَةِ رَأْيِ الْمُكَذِّبِينَ؛ إِذْ يُكَيِّرُونَ الْآيَاتِ عَلَى كَثَرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا، وَإِذَا جَاءَتْ سَاعَةُ الْحَقِيقَةِ وَعَانِيَهَا، هُرِعُوا إِلَى سَاحَةِ التَّصْدِيقِ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ التَّصْدِيقِ حَاصِلٌ عِنْدَهُمْ، وَمَا هُمْ إِلَّا مُكَذِّبُونَ مُرَاوِغُونَ.

بلغة جملة التذييل:

الظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لَيْسَ دَاخِلًا فِي جُمْلَةِ الْمَقُولِ، بَلْ هُوَ كَلَامٌ مَسْووقٌ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ

عَظْمَةُ الْآيَاتِ
تَعْظُمُ فِي
الْقُلُوبِ وَتَكْبُرُ فِي
الصُّدُورِ

سُرْعَةُ تَحْقُقِ
الْمَعْرِفَةِ عَقِبَ
وَقُوعِ الْإِرَاءَةِ

أَعْمَالُ الْمُشْرِكِينَ
فِي مِيزَانِ الْحَقِّ
تَسْتَوْجِبُ
الْحِسَابَ وَلَوْ
بَعْدَ حِينٍ

التَّذْيِيلِ؛ لتقرير ما قبله⁽¹⁾، ووجه التقرير: أَنَّ كونه تعالى غير غافلٍ عن أيِّ عملٍ، يعني: أَنَّهُ يُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ على عمله، فيؤكِّد كونه أعمالِ المشركين تستوجب ما سيرونها مِنَ الآياتِ، ففيها تطمينٌ لقلبِ النَّبِيِّ ﷺ، وقلوبِ المؤمنين، من أَنَّ ما سيقع مِنَ الظَّالِمِينَ في الدُّنْيَا ما هو إِلَّا بإذنِ الله تعالى، وأنَّه ليس بغافلٍ ولا تاركٍ أعمالهم تجري كما يحسبون. وجوزَ ابنُ عاشور في هذا التَّذْيِيلِ أَن يَكُونَ مِنْ تمامِ ما أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِأَن يَقُولَهُ لِلْمَشْرِكِينَ⁽²⁾، ويردُّ عليه أَنَّهُ لو كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: (وما رَبُّكم)، أو (وما رَبِّي).

بلادة استعمال أداة النفي (ما):

(ما) في قول الحق ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ نافيةٌ، وقد استعملت هذه الأداة دون غيرها من أدوات النفي لإفادة العموم، أي: نفي أي غفلة قد تلمح في ذهن أحد.

ثكنة التعبير بعنوان الربوبية:

عبر بعنوان الربوبية في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لأنَّ لفظَ الرَّبِّ يدلُّ على التَّربية والإحسانِ والرَّحمةِ، ومنَّ وجوه الإحسانِ للعبادِ إصلاحهم بالتكاليف، وحثهم على الالتزام بها؛ لذودهم عن حياض العذاب الأليم، فلَفَظُ الرَّبِّ أنسبُ بمقام الآية الذي امتزج فيه وعدُ المؤمنين بوعيدِ المكذِبين المعاندين، الذين يعملون السيئات.

غرض إضافة لفظ (رب) إلى ضمير الخطاب:

أضيفَ لفظُ الرَّبِّ إلى ضميرِ الخطابِ الرَّاجِعِ إلى النَّبِيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لإشعاره بمعية الله تعالى وإحسانه، وتشريفه بكونه مربوباً لله تعالى، فالعبودية لله تعالى شرفٌ وعِزَّةٌ للعبد، وليست كعبودية العبد للعبد.

وَعُدُّ اللطيفِ
ووعيدُ العاصي
مِنْ أَنَارِ التَّربيةِ
الرَّبَّانِيَّةِ

تشريفُ المخاطَبِ
بإثباتِ عبوديته

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 307/6.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 59/20.

عِلَّةُ إِظْهَارِ مَا حَقَّهُ الْإِضْمَارُ:

الظَّاهِرُ أَنْ يَقَالَ: (وما هو بغافلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)؛ لرجوع الضَّمِيرِ إلى لفظِ الجلالةِ المذكورِ في قوله ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، لَكِنْ عُدِلَ عَنِ الْإِضْمَارِ إِلَى الْإِظْهَارِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لِما فِي اسْمِ الرَّبِّ مِنْ الدَّلَالَةِ عَلَى الْاعْتِنَاءِ بِصَلَاحِ الْمَرْبُوبِينَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَلِأَنَّ الْجُمْلَةَ تَذْيِيلٌ، وَالْإِظْهَارُ يَجْعَلُهَا مُسْتَقِلَّةً بِنَفْسِهَا، فَتَجْرِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قِيلَ: (وما هو)؛ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ مُسْتَقِلَّةً؛ لِارْتِبَاطِ الضَّمِيرِ بِمَرْجِعِهِ السَّابِقِ.

دَلَالَةُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِغَافِلٍ﴾:

الْبَاءُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وَاقِعَةٌ فِي حَيْزِ خَبَرٍ (ما)، جَاءَتْ لِتَوْكِيدِ عَدَمِ غَفْلَتِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَبَيَانِ أَنَّهُ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ، لَا امْتِرَاءَ فِيهِ.

بَلَاغَةُ اسْتِعْمَالِ (عَنْ):

حَرْفُ الْجَرِّ (عَنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لِلْمَجَاوِزَةِ، وَفَائِدَةُ اسْتِعْمَالِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي بَيَانِ عَدَمِ غَفْلَتِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَإِفَادَةُ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَقُوتُ عِلْمَهُ سُبْحَانَهُ، وَالْمَعْنَى: وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ مُتَجَاوِزًا مَا تَعْمَلُونَهُ دُونَ إِطْلَاعٍ عَلَيْهِ، وَإِحْصَاءٍ لَهُ، بَلْ هُوَ مُحَصِّصٌ لَهُ، جَامِعُهُ فِي كِتَابٍ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً.

نُكْنَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَوْصُولِ:

الظَّاهِرُ أَنَّ (ما) فِي قَوْلِ الْبَارِي جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مَوْصُولَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: (عَنْ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ)، وَقَدْ جِيَءَ بِالْمَوْصُولِ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَغْفُلُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، كَبِيرًا كَانَ أَوْ صَغِيرًا، ظَاهِرًا كَانَ أَوْ بَاطِنًا، وَفِي ذَلِكَ زِيَادَةُ تَهْدِيدٍ وَوَعِيدٍ، وَإِقْطَاطُ مَنْ قَدْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَطَّلِعُ عَلَى خَفِيَّاتِ أَعْمَالِهِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ (ما) مُصَدَّرِيَّةً، وَالْمَعْنَى: (عَنْ أَعْمَالِكُمْ).

عَدَمُ غَفْلَتِهِ
تَعَالَى جَارِيَةً
مَجْرَى الْأَمْثَالِ

تَوْكِيدُ عَدَمِ
غَفْلَتِهِ سُبْحَانَهُ
عَنْ أَعْمَالِ
الْعِبَادِ

أَعْمَالُ الْعِبَادِ
فِي كِتَابٍ يُحْمِي
الصَّغَائِرَ
وَالْكِبَائِرَ

عِلْمُهُ تَعَالَى
مُحِيطٌ بِجَمِيعِ
أَعْمَالِ الْعِبَادِ

سِرُّ تعليقِ وصفِ الغافلِ بالعملِ:

قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ دالٌّ على أَنَّهُ سبحانه يُعْطِي كُلَّ عَامِلٍ جزاءَ عمله، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، وَلِذَلِكَ عُلِّقَ وَصْفُ الْغَافِلِ بِالْعَمَلِ، وَلَمْ يُعْلَقْ بِالذَّوَاتِ، فَلَمْ يُقَلَّ: (بِغَافِلٍ عَنْكُمْ)؛ إِيْمَاءً إِلَى أَنَّ عَلَى الْعَمَلِ جزاءً⁽¹⁾، وَأَنَّ الْعَمَلَ هُوَ مُحَلُّ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَلِلتَّجَنُّبِ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى، فَإِذَا كَانَ لَا يَغْفَلُ عَنْ أَعْمَالِكُمْ سُبْحَانَهُ، فَكَيْفَ يَغْفَلُ عَنْكُمْ.

من أحاط
علمه بالأعمالِ
فإحاطته
بالذَّواتِ أولى

بلاغة استعمالِ مفردةِ العملِ دونَ الفعلِ:

اخْتِيارَ لَفْظِ الْعَمَلِ دُونَ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ يَدُلُّ عَلَى الْمَثَابَةِ عَلَى الشَّيْءِ، وَيَكُونُ بِقَصْدٍ، فِيهِ التَّعْبِيرُ بِهِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ مَا يُجَازِي اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ عِبَادُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ هُوَ مَا صَدَرَ بِقَصْدٍ عَنْهُمْ، لَا سِيَّمَا إِنْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ، وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبُّهُ وَالْمَثَابَةَ عَلَيْهِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْكُفْرِ مَعَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْآيَاتِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهَا، وَأَمَّا الْفِعْلُ فَيَكُونُ بِقَصْدٍ وَغَيْرِ قَصْدٍ، فَلَا يِلَاقُ الْمَقَامَ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ جَزَاءٍ.

مقامُ الجزاءِ
ثلاثمه أعمالُ
القصدِ

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ:

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بِالْخَطَابِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بِالْغَيْبَةِ⁽²⁾، أَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْخَطَابِ فَيَكُونُ فِي الْكَلَامِ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَالْمَعْنَى: وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُ أَنْتَ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَمَا تَعْمَلُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْكُفْرَةُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، فَيُجَازِي كُلًّا مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، وَتَخْصِيصُ الْخَطَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبُّكَ﴾ بِهِ ﷻ، وَتَعْمِيمُهُ فِي ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لِلْكَفْرِ تَغْلِيْبًا. وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْغَيْبَةِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فَالْكَلَامُ وَعِيدٌ مَحْضٌ، وَالْمَعْنَى: وَمَا

قراءةُ الخطابِ
وعدٌ ووعيدٌ،
وقراءةُ الغيبةِ
وعيدٌ شديدٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 196 / 12.

(2) ابن الجزري، النشر: 263 / 2.

رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ الْكُفْرَةُ، فَسَيُعَذِّبُهُمُ الْبَتَّةَ، فَلَا يَظُنُّوْا أَنَّ تَأْخِيرَ عَذَابِهِمْ لَغَفْلَتِهِ عَنْ أَعْمَالِهِمْ⁽¹⁾.

دلالة التعبير بصيغة المضارع:

عَبَّرَ بصيغة المضارع في قولِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ للدلالة على التَّجَدُّدِ والاستمرارِ، والمعنى: وما رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ من أَعْمَالِكُمُ الصَّادِرَةِ عنكم باستمرارٍ، فتفِيدُ الجملةُ مبالغةً في إحاطةِ علمِهِ ﷻ بأَعْمَالِهِمْ، وأنَّهُمْ لَا يُحَدِّثُونَ عَمَلًا إِلَّا وَعِلِمُ اللَّهِ تَعَالَى مُحِيطٌ بِهِ، فَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، وَلَا تَشْغَلُهُ كَثْرَةُ أَعْمَالِهِمْ، بَلْ قَلِيلٌ عَمَلُهُمْ وَكَثِيرُهُ سَوَاءٌ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى.

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ الْفِعْلِ:

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ فِعْلِ الْعَمَلِ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ للدلالة على العمومِ، وما رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ من جميع أَعْمَالِكُمُ فَتَشْمَلُ الْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ.

مناسبة الختام لفاتحة السَّورَةِ:

قال تَعَالَى فِي فَاتِحَةِ السَّورَةِ: ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ۝﴾ [التَّوْبَةُ: 1-5]، وَقَالَ فِي خَاتَمَتِهَا: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۚ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَنْتَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۚ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. وَيُلْحِظُ أَنَّ آخِرَ السَّورَةِ فِيهِ تَفْخِيمٌ لِسَانَ الْقُرْآنِ، وَتَقْسِيمٌ لِلنَّاسِ فِي شَأْنِهِ إِلَى مُهْتَدٍ وَضَالٍّ، فَعَانَقَ أَوَّلَهَا الْمُشْتَمَلُ عَلَى ذَلِكَ⁽²⁾،

كثيرُ العملِ
وقليلُهُ سواءٌ في
علمِ اللَّهِ تَعَالَى

حَذْفُ الْمُتَعَلِّقِ
يُبدَلُ عَلَى
الْعُمُومِ

اشْتِمَالُ
فَاتِحَةِ السَّورَةِ
وَخَاتَمَتِهَا عَلَى
التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ
الْقُرْآنِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 307/6، والآلوسي، روح المعاني: 249/10.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 231/14.

والتقى الافتتاح والاختتام على أمرٍ قد قُدِّرَ، فجَلَّ كلامُ علّامِ الغيوبِ
وخالقِ القوى والقُدَرِ.

❖ الفروق المعجميّة:

المعرفة والعلم:

المعرفةُ أَخْصُ مِنَ الْعِلْمِ؛ لَأَنَّهَا عِلْمٌ بِعَيْنِ الشَّيْءِ مُفَصَّلًا عَمَّا
سِوَاهُ، وَالْعِلْمُ يَكُونُ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا، وَيَتَبَيَّنُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فِي الْمَوْضِعِ
الَّذِي تَرِدُ فِيهِ، فَقَوْلُكَ مَثَلًا: عَلِمْتُ أَنَّ لَزِيدَ وَلَدًا، وَقَوْلُكَ: عَرَفْتُ أَنَّ
لَزِيدَ وَلَدًا، بِمَعْنَى وَاحِدٍ⁽¹⁾، كَمَا أَنَّ الْمَعْرِفَةَ يَقَابِلُهَا الْجُحُودُ، وَالْعِلْمُ
يُقَابِلُهُ الْجَهْلُ، وَقَدْ عُبِّرَ بِالْمَعْرِفَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَعَرَّفُونَهَا﴾؛ لِأَنَّ
الْمُرَادَ أَنَّ الْكَافِرِينَ حِينَ يَرُونَ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي كَانُوا يُكْذِبُونَ بِهَا يَعْلَمُونَ
أَعْيَانَهَا عِلْمًا مُفَصَّلًا، وَيُدْرِكُونَ حَقَائِقَهَا، وَيَقْرَءُونَ بِكُونِهَا آيَاتِ اللَّهِ،
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ جُحُودَهَا، وَهِيَ أَنْسَبُ بِمَا فِي لَفْظِ الْآيَاتِ مِنْ مَعْنَى
الدَّلَالَةِ وَالْعَلَامَةِ⁽²⁾.

المعرفةُ أَخْصُ
مِنَ الْعِلْمِ
لَاخْتِصَاصِهَا
بِالتَّفْصِيلِ
وَالْعِلْمُ
بِالإِجْمَالِ

التلاوة والقراءة:

التَّلَاوَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِكَلِمَتَيْنِ فَصَاعِدًا، وَالْقِرَاءَةُ تَكُونُ لِلْكَلِمَةِ
الْوَحِدَةِ، يُقَالُ: قَرَأَ فُلَانٌ اسْمَهُ، وَلَا يُقَالُ: تَلَا اسْمَهُ؛ لِأَنَّ التَّلَاوَةَ
فِي الْأَصْلِ إِتْبَاعُ الشَّيْءِ الشَّيْءَ، فَتَكُونُ فِي الْكَلِمَاتِ يُتْبَعُ بَعْضُهَا
بَعْضًا، وَلَا تَكُونُ فِي الْكَلِمَةِ الْوَحِدَةِ⁽³⁾، كَمَا أَنَّ التَّلَاوَةَ تَخْتَصُّ بِكُتُبِ
اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ، فَهِيَ أَخْصُ مِنَ الْقِرَاءَةِ، فَكُلُّ تِلَاوَةٍ قِرَاءَةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ
قِرَاءَةٍ تِلَاوَةً⁽⁴⁾.

التَّلَاوَةُ اخْتَصَّتْ
بِتِلَاوَةِ الْكُتُبِ
الْمُنَزَّلَةِ، بِخِلَافِ
الْقِرَاءَةِ فَهِيَ أَعَمُّ

وقد اختيرَ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ لَفْظُ التَّلَاوَةِ دُونَ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 500.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 58 / 20.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 140.

(4) الزاغب، المفردات: (تلاو).

القراءة؛ لَّأنَّه يدلُّ على المواظبةِ وتكشُّفِ الحقائقِ والمعانيِ للتَّالِي شَيْئاً فَشَيْئاً؛ لَّأنَّه موضوعُ
لِإِتِّبَاعِ اللَّفْظِ الثَّانِي لِلأَوَّلِ شَيْئاً فَشَيْئاً، بخلافِ لَفْظِ القراءةِ؛ فَإِنَّه موضوعٌ لجمعِ الحروفِ
والكلماتِ غيرَ ملحوظٍ في وضعِها معنى الإِتِّبَاعِ⁽¹⁾.

(1) ابن التَّمْجِيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 462 / 14.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة التَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة التَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40: المجلد الأربعون، سورة التَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-90-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16 م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»